الوهم الجميل

مجموعة قصصية

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـــم الكتاب: الوهم الجميل
اســـم المؤلف: د. زينب حلبي
التصنيـــــــف: مجموعة قصصية
الحجـــــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 142
سنة الإصـــدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 15642 / 2025
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 221 – 5

تدقيـــق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غـــلاف: منى الموجي
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

الوهم الجميل

مجموعة قصصية

د. زينب حلبي

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

إهداء

أهدي مجموعتي القصصية الجديدة إلى كل من قرأ حروفي وتأثر بها وصنعت فارقا في حياته، وإلى مشجعي وداعمي الأول أبي العزيز متمنية أن تنال حروفي اعجابه.

د. زينب حلبي

****

1- جهاد

تسللت أصابعها الدقيقة من أسفل الفراش تتحسس وجه أختها الكبرى بعد أن رأت كابوساً مفزعاً.

فانتفضت جهاد مرتعبة، وصرخت: ماذا حدث؟

إنها النار. هيا لننجو بأنفسنا

فسارعت الصغيرة سلمى تطمئنها، لا تخافي يا أختي إنه أنا، لا نار ولا قذائف هنا.

تنفست جهاد الصعداء، وتمتمت:

_ الحمد لله، هل أنتِ بخير صغيرتي الحبيبة؟

_ نعم، ولكنّي رأيت كابوساً مزعجاً فحسب، فلمستُ وجهكِ لأطمئن أنكِ معي، ولم تفارقيني مثل أبي وأمي.

احتضنتها جهاد بحنان، وكأنها والدتها وليست أختها التي تكبرها بثمانية أعوام.

جذبت جهاد الدثار المصنوع من ألياف الكتان على أختها وأضافت عليه جلبابها الآخر الذي احتفظت به في صندوق الكرتون المتوسِّد الأرض بجوارهما، لتتقيا به البرد القارس في هذه الليلة من ليالي طوبى.

انتفضت جهاد على صوت وقع أقدام تخترق الظلام، وتقترب شيئا فشيئا من الخيمة، ثم صوت عواء شق عنان السماء وقارب على اختراق أذن الصغيرة.

حبست أنفاسها، ثم لمست أختها برفق، هامسة:

-هيا بنا من هنا بسرعة دون صوت.

قامت الصغيرة ذات الخمسة أعوام دون جلبة، وتمسكت بجهاد بشدة بينما تحملها على ظهرها وتنزلق بها من باب الخيمة الخلفي، مبتعدة عن زمرة الذئاب التي تجمعت أمام الخيمة.

تسللت مبتعدة وهي متلاحقة الأنفاس، تدور في الظلام حول مجموعة من الأشجار والنخيل الباسقة بالقرب من الغابة، ثم اختبأت خلف شجرة ضخمة فزعاً من الذئاب التي حامت حول المكان بحثا عن وليمة عشاء دسمة مصبوغة بدماء اللاجئين.

كست الدموع وجهها، وأنهكها حمل أختها التي صمتت رعبا بجوارها.

مرت الدقائق، وكأنها ساعات، وكل ما كانت تأمله أن تشق أشعة النهار السياج المُحكم الذي ضربه الليل على كل ما حولها.

همست سلمى: _أنا خائفة

احتضنتها جهاد وتماسكت قليلا ثم قالت لها لا تخشي شيئا، معي فرع من تلك الشجرة سأحطم به من يحاول الاقتراب منا.

هدأت الصغيرة، وتخيلت أختها تصارع الأشرار وتضربهم بقوة فتدافع عنها.

ولكن صوتا مثل اصطكاك أفرع الشجر بات جليا بالقرب منهما، ارتفع وجيب نبضاتهما، ولم يعرفا ماذا عليهما أن يفعلا، ظلتا خلف الشجرة ساكنتين، ولكن التمعت عينان خضراوان على بعد ميلين منهما، ما إن رأتهما جهاد حتى استعاذت بالله من الشيطان الرجيم، وظلت تردد آية الكرسي، ثم تسللت وهي تحمل أختها من خلف الأشجار مبتعدة عن مصدر الصوت، ولكنها لاحظت أن الصوت لا يخفت مما يدل على أنه يتحرك معهما.

تعالت أنفاسها وارتعاش يديها، وتعثرت في بعض الأحجار فسقطت على الأرض وسقطت سلمى كذلك محدثة ضجيجا شق سكون الليل.

نهضت بسرعة، وحملت أختها مطلقة ساقيها للريح مبتعدة عن المكان، وما لبثت أن وجدت خيمة أمامها فصفقت عدة مرات ونادت النجدة. النجدة، ولكن لم يجبها أحد، وكانت العيون الخضراء تلاحقها في الظلام، فتجاسرت ودلفت الخيمة. كان بالخيمة مصباح مضيء، ولا أحد بداخلها، فمكثت فيها مرتعدة تقرأ آيات من القرآن الكريم، بينما نامت سلمى على حاشية ممتدة على الأرض. ظلت جهاد طوال الليل تبكي وتدعو الله أن يجنبهما مصارع السوء، ويكفيهما شر الخطر.

تلاحقت أشعة الشمس فأنارت الوجود منذرة من يتخفى بالظلام بكشف ستره، وإفساد مخططه.

تنفست جهاد الصعداء، وبرزت من الخيمة تمسح المكان بعينيها المتعبتين، فلم ترَ أحد حولها. فعادت ودلفت إلى الخيمة ثم سقطت في النوم رغما عنها.

فتحت عينيها على صوت صاخب حولها، فوجدت امرأة مسنة أمام الخيمة، فهمت أنها صاحبتها، فأيقظت أختها، لتنصرفا، ولكن سارعت المرأة بالدخول إلى الخيمة وانزعجت حين رأتهما، وقالت: مَن أنتمها؟ وماذا أتى بكما هنا؟

فأجابتها جهاد:

_نحن آسفتين جدا، فقد فقدنا الطريق إلى خيمتنا، واضطررنا إلى اللجوء إلى خيمتك.

فقالت المرأة: لابد أن والديكما يبحثان عنكما

_ لا ليس لنا أحد، فقد مات جميع أفراد أسرتنا أثناء الثورة في سوريا برصاص الغدر.

_ لاحول ولا قوة إلا بالله، ابقيا معي حتى الصباح، فأنا وحيدة ولا أقوى على خدمة نفسي، سنأنس ببعض.

وافقت الفتاتان، وشرعتا في تنظيف الخيمة وإحضار الطعام من سيارة المساعدات الدولية التي تربض بعيدا عن المخيم، وأثناء رجوع جهاد مساءًا لاحظت صوت أقدام خلفها، تتبعها كلما تقدمت نحو الخيمة، فسرى الخوف في أوصالها، وأخذت تعدو في الطرق حتى تعثرت في إحدى الصخور

فسقطت وحينها لاحظت أحدهم يتقدم نحوها، مرتديا قناعا أسود اللون، يحمل علامة عظمتان تتقاطعان عند المنتصف. تضعضعت، ثم جرت قدمها وتحاملت عليها فنهضت وأخذت تعدو قبل أن يمسك بها.

حين وصلت إلى المخيم انفجرت في البكاء بصوتٍ صاخب، فسألتها العجوز ما بكِ يا ابنتي؟

_ خائفة، أشعر أن هناك من يتتبعني.

_لا تتخشي شيئا، ولا تخرجي وحدك إذا كان هذا يريحكِ

امتثلت الفتاة لتلك النصيحة وآثرت أن ترسل أختها لإحضار الطعام، بينما تنظف هي الخيمة لحين عودتهما إلى خيمتهما الأولى

خرجت سلمى هذه المرة لجمع الحطب بغرض التدفئة، وأثناء مرورها بنفس الموضع الذي سقطت فيه أختها، رأت ذو القناع الأسود يتقدم نحوها، فحاولت الهرب، وأطلقت قدماها للريح، ولكن الرجل لحق بها، وكمم فاها ثم حملها ومضى.

انتظرتها جهاد بقلق شديد، ثم ما لبثت أن خرجت تبحث عنها. أخذت تبكي وتدور حول الخيام، فتسأل عنها، ولكن لم يظهر لها أثر. ظلت الفتاة تبكي حتى الصباح، وخرج العديد من شباب المخيم للبحث عن أختها في الغابة القريبة من المخيم، وبعد شقاء عاد أحدهم بثياب عثر عليها تحت كومة من الأعشاب، فسأل جهاد: هل هذه ثيابها؟

فصرخت: نعم. نعم. هيا سريعا إلى حيث وجدتها، مستحيل أن يكون أصابها مكروه، فهرع الجميع حيث أشار الشاب ومشطوا المنطقة بحثا لساعات طوال، فلم يعثروا عليها، فهدأوا من روع جهاد، وأخذتها إحدى النساء إلى خيمتها وأخذت تطمئنها بأن الله سينجيها، وهي لا تكف عن البكاء وتتداعى أمام عينيها مشاهد والدها وهو يلقى حتفه تحت عجلات احدى الدبابات، ووالدتها وأخيها حين سقطا قتلى برصاص القناصة في أحد الميادين، وها هي سلمى تختفي وتلقي عليها بظلال الحزن مجددا. سالت دموعها كأنهار على وجنتيها المخضبتين بالتراب.

مرت الليلة عليها أطول مما مر بها من حياتها كلها، ثم عزمت على البقاء في الغابة حتى الصباح فتسللت من الخيمة بعد إغفاء الجميع، وأخذت تعدو حتى تعبت ثم ظهر القناع الأسود من خلف الأشجار، ظل يراقبها ثم اقترب منها، فاستسلمت بدون مقاومة، فسحبها عدة أميال، ثم أدخلها خيمة مظلمة، ما لبث أن أضاء قنديلا بداخلها، فأفاقت على شعاعا كشف عن داخل الخيمة، اختفى صاحب القناع، ولكن ظهرت فتحة في أرضية الخيمة، فاقتربت منها ولاحظت أنها عميقة تؤدي إلى بئر، فنظرت بداخله فلم ترَ سوى الظلام، ولكن عاجلتها ضربة على رأسها أرسلتها إلى قاع البئر. انتبهت من أثر الضربة فرأت سلمى ملقاة على وجهها مجردة من ملابسها، فاقدة للوعي، لوهلة ظنت أنها ماتت، ولكن بتدقيق النظر كانت أنفاسها مازالت تتصاعد خافتة، فخلعت ثوبها الخارجي، وألبسته لأختها

وحاولت إفاقتها، وبسرعة حملتها على ظهرها وجاهدت للصعود من داخل البئر، شيئا فشيئا، حتى خرجت منه، ثم مضت ببطء من الخيمة دون أن يلاحظها ذو القناع الأسود حيث كان بالخارج.

أسرعت في اتجاه المخيم، ودلفت أول خيمة صادفتها، وطلبت النجدة.

بأنفاس مبهورة وعيون دامعة قصت سريعا ما رأت، فتولى من حولها إفاقة أختها، وإسعافها، وبحث جانب من الرجال على ذو القناع الأسود.

وتم الإمساك به وسحبه حتى احدى الخيمات، حيث تجمع الأهالي لاستجوابه، وكشف حقيقته. وفور أن خلعوا القناع ظهر وجها مشوها، عانى من ويلات الحرب، كالوا له الضربات حتى تم إلقاء القبض عليه وكانت المفاجأة أنه هو نفسه والد جهاد وسلمى بعد أن فقد عقله.

****

2- انتقام الأيام

فتح زياد عينيه أثناء غفوته في إحدى ليالي الشتاء الباردة، فوجد زوجته الجميلة تحتضن يديه وتقبلها بمزيج من الود والعرفان، فنظر إليها بدهشة مفعمة بالحنان وقال: _ما بكِ يا حياتي؟ ألا تنامين؟

_كيف تغفل عيناي وأضيع من عمري ولو لحظات دون النظر إلى وجهك الحبيب

فابتسم وقال:

_ ألهذه الدرجة؟

_وأكثر، أخشى حقا أن أفقدك، فأفقد نفسي معك.

_ لماذا الخوف والتشاؤم، لا مبرر لذلك.

_ليس لي في الدنيا سواك بعد الله.

في الصباح، تكرر حديث حياة على مسامعه كلما همَّ بعملٍ ما، فأزمع على أن يعوضها ويكافئها على إخلاصها وحبها له، وقام بسحب كل ما تبقى له من رصيد بالمصرف، واشتري لها منزل فاخر في موقع راقٍ بأحد التجمعات السكنية الجديدة التي رأى إعلاناتها بالتلفاز، ودون أن يستشير أحد تعاقد على المنزل وقام بتجهيزه بكافة وسائل الراحة والرفاهية الحديثة.

عزم زياد على تقديمه لمليكة قلبه وحياته هدية في عيد ميلادها القادم – أي بعد أسبوع.

تربعت حياة على عرش قلبه فشعر براحة شديدة وهو يقدم لها مفتاح المنزل والعقد، وكانت فرحتها أيضا غامرة فعبرت عنها بقولها:

يكفيني أنك فكرت في إسعادي أما المنزل أو المال عموما فلا أقيم له وزنا، صدقني أنتَ الأهم.

حدَّث والديه بما فعل، وهو مسرور وتبدو على قسماته علامات الرضا، فاندهش والده حين علم بأنه لن يترك مسكنه الحالي ليعيش في المنزل الجديد، بل سيتركه لزوجته كأمان من غدر الزمن بعد وفاته. فلامته أمه على تفكيره بهذه الطريقة، ولكنه لم يمعن النظر فيما ساقته إليه من أمثلة تخالف توقعاته في زوجته.

أثناء حفل زفاف ابنة عمه حضر الحفل مع زوجته الحنونة، والتقى مصادفةً بأحد أصدقاء طفولته علاء، فقدمه لزوجته، وعلم أنه يمتلك جريدة شهيرة، فأخبره أن زوجته تهوى الكتابة، وتتمنى لو عملت في مجال الصحافة، فابتسمت حياة خجلاً، وقالت لصديقه:

_ ربما لستَ في حاجة لصحفيين حاليا.

فأجابها:

_ هي مفاجأة، ولكن يمكنني إجراء اختبار لكِ، ولا تخافين أنا لا أعرف المجاملة في عملي.

فابتسم زياد وقال:

_وهذا يكفينا

اجتازت حياة الاختبار الذي عقده لها علاء بتفوق ونالت وظيفة محررة بالجريدة.

طارت من الفرحة غير مصدقة أن حلمها القديم قد تم بعثه من جديد على يد ذلك الصديق القادم من أعماق الماضي، فاجتهدت وصممت على أن يصبح لها اسم بارز في عالم الصحافة، وقد كان، وبدأت تكتب المقالات الصحفية المتنوعة، وتطبع أول كتبها على نفقة المجلة، وهي في منتهى السعادة.

وأثناء إحدى جولاتها الصحفية في باريس التقت بصاحب الجريدة، فرحبت به وتواعدا على العشاء، وأثناء ذلك صرح لها بإعجابه الشديد بها منذ أول لقاء، ففكرت سريعا وقالت في نفسها: هو أغنى من زياد ويملك تحقيق كل أحلامي. فبادلته الابتسامة وقالت:

_وماذا تريد مني؟ أنسيت أنني متزوجة؟

فقال لها: سأكتب الجريدة باسمك لو أصبحتِ زوجتي.

بعد عدة أيام فوجئ زياد بإعلان على يد محضر يخبره أن زوجته رفعت قضية خُلع. لم يستوعب ما حدث. كيف، ولماذا؟ وهي خارج البلاد في عملها.

فهم مؤخرا أنها وجدت عرضاً أفضل مع طموحها الذي عاد من جديد على يد رفيقه. لم يصدق أن المحبة تتبدل والقلوب تتغير، فشعر بالخسارة الفادحة.

أثناء جولته بالسيارة بعد عدة أشهر وبعد تعافيه من المحنة، اصطدمت عينه بعنوان في أحد الصحف عن جريمة قتل قام بها صاحب مجلة شهيرة حيث خنق زوجته بعد شكه في سلوكها، وصورة حياة كانت أسفل الخبر.

****

3- حلمٌ زائف

ارتفعت أعمدة اللهب، فأتت على كل ما تبقى في القاعة الخارجية للمتحف، هرعت أمينة إلى موقع الحادث، وهي منفعلة تصيح في وجه كل مَن يقابلها، فجُل ما كانت تخشاه، أن تُصَاب محتويات المتحف الثمينة بسوء، ولكن شاءت الأقدار أن تصل سيارات الإطفاء وتنهي الأمر في خلال عدة ساعات.

كتبت مقالاً نارياً عن الإهمال وما يمكن أن يسفر عنه، من أضرار للوطن.

قرأ زياد المقال وانفعل معه، وأيد كل حرف كتبته أمنية، ثم أزمع على مقابلتها ليبدي لها إعجابه بفكرها، وبما تكتب.

عندما أخبرها رئيس التحرير أن خبير الآثار الدولي الدكتور زياد الأشقر يود مقابلتها، كانت تظنه أكبر سناً من والدها بسبب شهرته التي تملأ الآفاق، فلم تمانع.

تفاجأت بأنه لم يتخطى الأربعين. ثبت ناظريه عليها، وكأن بينهما خيوطا من نور ربطت بين روحيهما، حاولت تلافي نظراته، لكنها لم تفلح.

لم تدرك وقتها أنه قد وقع صريع هواها.

شكرها ومدح أسلوبها المنمق، ثم أصر على تكرار اللقاء للحديث عن الآثار، فلم تملك غير الموافقة على أمل تسجيل حوارا صحفيا معه.

واتفقا على أن تزوره في المتحف القومي للآثار الإغريقية الرومانية، الذي يعمل فيه حاليا.

تكرر اللقاء والحديث وكان في كل مرة يحاول تخطي الحواجز النفسية بينهما فقد كان معجبا بذكائها، وبعقلها المتقد، وبزيها الإسلامي المحتشم.

ظل يفكر فيها كلما أغلق عينيه، وكلما شرد مع نفسه، سأل عنها، وعرف إنها لم تتزوج. فتقدم لخطبتها.

ولم تكن تسعه الدنيا من السعادة حين يراها، تنازل عن كل أبحاثه الخارجية، حين علم برغبتها في البقاء في مصر، وهيأ لها قصرا يليق بحبيبة عمره، ثم تم الزواج.

كان سعيدا، وشعر أنه امتلك العالم أجمع بين يديه، ولكن استفاق على عبارة نطقتها بعد الزواج بشهر واحد، متى ستكتب القصر باسمي؟ سقط من برج الأحلام إلى سابع أرض ولم تقم له قائمة بعدها.

****

4- شمسٌ لن تغيب

أخذ سميح يتصفح الجريدة اليومية بشغف، حريصا على قراءة معظمها كما تعود يوميا، لمح مجد صديقه أثناء تخطيه بوابة المقهى بحماس، فأومأ إليه بيده لكي يجلس معه، تقدم منه مجد للتحية وهو باش الوجه وقال:

_ مرحبا صديقي العزيز، لم أرك منذ أسبوع أين كنت؟

_ أبدا كنت أنجز بعض الأعمال، أنت تعلم أن المواد الخام وصلت إلى ميناء يافا وكان عليَ حضور استلامها بنفسي

_ كيف الحال معك؟ هل من جديد

_لقد شرعتُ في افتتاح المصنع الجديد منذ يومين

_ مبارك يا صديقي تستحق كل خير، ولكن أخبرني هل السوق يسحب كل مصنوعاتك؟

_ يا عزيزي نحن عام ألفان وثلاثين والسوق يستوعب وأكثر فما هي إلا أيام وترى بنفسك شعار صنع فلسطين مطبوعا على المنسوجات والصناعات الجلدية.

لمحا إياد جالسا على طاولة قريبة منهما، فأشار إليه مجد لكي ينضم إليهما، فابتسم إياد ونهض متوجها نحو طاولة صديقيه، حياهما بحرارة قائلا:

_ ما هذه الصدف السعيدة!

فقال سميح:

_ سعيدة علينا أن رأيناك، لو نعلم بترددك على هذا المقهى لارتدناه منذ زمنٍ طويل.

فابتسم مجد قائلا: ماذا تشرب؟ قهوة أم شاي؟

_ شاي، وأنت يا سميح؟

_سميح: قهوة

_مَجْد: وأنا قهوة أيضا، ثم أشار إلى النادل ليحضر لهم ما طلبوا.

بدأت زخات الأمطار تهطل على زجاج المقهى العتيق محدِثة صوتا خفيفا كما بدأت البرودة في التسرب إلى داخل المقهى

_سميح: اليوم نهاية الأسبوع وقلما خرجتُ من منزلي يوم عطلتي، فقد آثرتُ الراحة فيه منذ سنوات.

_مجد: يحق لك أن تستريح، فقد كنت مناضلا عظيما في بكورة أيام شبابك، وكم سرت في الاحتجاجات، وحاربت من أجل التحرير

_إياد: ولم تبوء محاولاتنا بالفشل، الحمد لله نلنا استقلالنا عام 2025 أي منذ عامين

_سميح: أتظن أن الجهاد توقف؟ نحن نجاهد لبناء دولتنا الحديثة، والحمد لله أخذ نجمها في الصعود في مصاف الدول التي تنعم بالحرية والمعيشة الجيدة

_مجد: كل ما كنا نسعى إليه هو الاستقلال من أجل مستقبل أبنائنا

_سميح: كيف تطور التعليم في المدرسة التي تعمل بها يا إياد؟

_إياد: أفضل من ذي قبل أصبحنا ندرِّس التاريخ الحديث لأبنائنا، والحاسب الآلي، وأحدث المواد الدراسية العلمية

وماذا عن مصنع الإلكترونيات الذي اشتريته يا مجد؟

_مجد: الحمد لله، العمل يسير فيه على قدم وساق، ولم نعد بحاجة إلى استيراد الأجهزة الحديثة، أنا فقط أستورد بعض الشرائح الإلكترونية الدقيقة، وباقي الأجهزة يتم تصنيعها لدينا.

_سميح: إذا سأزورك عن قريب لشراء بعض الأجهزة والمعدات التي تلزمني في مصنعي الجديد.

_إياد: أتعرفان أمرا، نحن بحاجة إلى توحيد جهودنا من أجل تأسيس جيلا جديدا من العقول الناضجة، كل همه تعويض السنوات التي مرت بنا في معاناة، وأن يضع هدفا ساميا له وهو بناء دولة متقدمة، تنعم بالاكتفاء الذاتي يوما ما.

_سميح: كل الأخبار في الجرائد تؤكد أن هذا اليوم سيأتي قريبا بإذن الله.

هيا بنا نقيم مصنعا جديدا يضمنا معاً لتصنيع الروبوتات، والحاسوب.

أشار الجميع بالموافقة، وتعاهدوا على العمل سويا من أجل ذلك المشروع الجديد.

كانوا يخطفون عدة نظرات على شاشة التلفاز في المقهى، فلمح سميح خبرا يشير إلى تعاقد تحالف الدول العربية مع فلسطين على عقد صفقة بملايين الدولارات لشراء أجهزة الحاسوب المتطورة التي تنتجها مصانع القدس. فتهلل وجهه وقال هنيئا لنا، لقد ضمنا مبيعات مصنعنا الجديد قبل البدء فيه.

****

5- قساة القلوب

أطلق القطار صفيره الصارخ معلنا بداية مفارقته لرصيف المحطة الكائن في ميدان رمسيس العتيق محطة مصر، فاعتدل عزيز في جلسته محافظا على الحد الأدنى من الخصوصية التي يسمح بها مقعده في الدرجة الثالثة أو القشاش كما يطلقون عليه، لمح بطرف عينه فتاة يافعة لا يتعدى عمرها الخامسة عشرة تجلس بجوار والدها باستسلام، ويأس يبدو من نظراتها لأرضية القطار.

بينما تبدو القسوة ظاهرة على أبيها الذي ينظر حوله بتنمر غريب وكأنه يستكشف من يحاول النظر إلى ابنته. فصرف بصره سريعا عنهما، ولاحظ انخراط الراكب بجواره في نوبة نوم عميق مطلقا سارينا من أنفه تقلق من حوله ببراعة.

وبدأت رأسه تسقط من على عنقه مترامية على كتف عزيز - ذلك الذي بدأ يزيحها بلطف دون فائدة، فاضطر في نهاية الأمر إلى إيقاظه فتثائب الراكب قائلا:

لا مؤاخذة يا أفندي.

وفى خلال دقائق عاود الكرة، ونام سريعا. حسده عزيز على قدرته العجيبة على الدخول في النوم، بينما هو يقضى جل ليله في محاولات بائسة، ويائسة

أيضا ليلتقط بداية الخيط السحري فقط، ولكنه يفشل دائما في العثور عليه إلا بعد تناول المنوم اللعين.

دارت عجلة الذكريات في قلبه تجتر أحزان عميقة يريد أن ينساها فيفشل. تذكر يوم سافر مع خطيبته وأسرتها لترى شقة الزوجية التي سيتزوجان فيها، وكيف كان يشعر بما يعتري المخدر، لجلوسها بجواره ينظر إليها كيفما شاء، ويسعد بالتفاتاتها النادرة نحوه التي تشبه قطرات الندى في يوم صيفي شديد اللظى.
تذكر كيف افترقا. ولم يصمد حبهما لرياح، بل لعواصف الطلبات المبالغ فيها من أسرتها. التي أضاعت عليه حلما كان يراوده بالسعادة مع من اختارها قلبه.

بدا الهدوء واضحا للحظات، وعادت الأصوات تموج حوله من كل جانب. فهذا بائع العسلية وهذا صانع الشاي، وآخر يقذف بالنعناع واللبان على كل من يصادفه متمنيا أن ينال ثمنه من أحد المسافرين، ولكن يتخطاه الأمل ويسافر مسرعا، فيعود ليجمع ما نثره بحرفية واكتفاء.
أصدر والد الفتاة في الصف المقابل لرياض ضجيجا غريبا وبدا عليه الغضب، ثم صفع ابنته بيده الضخمة على وجهها فجأة. فانتبه كل من

بالقطار. وحاول أحدهم التدخل مهدئا الرجل مستفسرا عن سبب ما فعل.
ولكن الرجل نهره وقال له في حده:
ابنتي وأربيها وأفعل بها ما أشاء.
احمر وجه الفتاة البريء، وانتفخ خدها موسوما بعلامات أصابع والدها.
وتساقطت دموعها التي حاولت كتمانها لدقائق ولم تفلح.
فسارعت احدى راكبات القطار بالاتجاه نحوها، وطلبت من والدها أن يفسح لها المكان، لكي تهدئ من روع الفتاة.
فنهض وهو يتأفف واتجه نحو الشرفة للتدخين. بينما جلست المرأة وربتت على البنت المسكينة بحنان، وهمست لها:
_ماذا فعلتِ لتثيري غضبه؟
فردت عليها بصوت متهدج خائف:
_ لم أقل سوى كلمة واحدة. حرامٌ عليك يا أبي.
_لماذا أثارته هذه الكلمة؟
_لا أعرف. ربما قد فهم منها رفضي
_لأي شيء؟
_للزواج من رجل عربي يكبرني بعشرين عاما
_فشهقت المرأة وقالت بكم اشتراك إذا؟

_فبكت البنت ولم تجب.. حيث عاد والدها وأمر المرأة أن تعود إلى موضعها. ففعلت بدون كلام وهي ترمقه بنظرة احتقار لم تنل منه اهتمام ولا بقدر أنملة.

التفت عزيز إلى الرجل الذي بجواره فأيقظه قائلا:

_فليلتزم كلٌ بمكانه، ولن أفرط في حقي بعد الآن.

انتفض الرجل، وفرك عينيه بأطراف أصابعه، ثم تثاءب قليلا وتعجب لما يثير عزيز هذه الجلبة لسبب بسيط!

جلس عزيز محمر العينين ودفق العرق يتصبب من جبينه، ثم شرد في وجوم وصوت خطيبته السابقة يخبره بلُطف:

_ لا أحبك حين تغضب وتثور، أراك أصبحت شخصاً آخر ويرد عليها بلطف ظاهر، ولكن من يحب يا سلمى لا يتذمر من رد فعل طبيعي، فأنا مثلا أحبكِ في كل حالاتك غاضبة، وسعيدة، نشيطة ومتكاسلة، مريضة أم معا فاه. أحبك حين تنطفئين أو تكتئبين، وحين تكوني مرحة.

فقالت له: _أمزح معك، فأنت تسكن روحي سواء كنت معي أو فارقتني.

يفيق من شروده على صوت الرجل الفظ الذي يجاور ابنته، ويصيح بصوت مسموع:

_ اصمتي ودعي يومك يمر بسلام، وإلا سحبتك من يدكِ وعدتُ بكِ إلى القبو الذي تعرفينه جيدا. هنا أجهشت الفتاة بالبكاء.

ولم يستطع عزيز أن يصمت فنهض من مكانه وقال للرجل:

_ اتقي الله في ابنتك لم يهبها لك الله لكي تعذبها.

فارتفع صوت الرجل ثانية وقال:

_ما دخلك أنت يا أستاذ. كن في حالك أفضل لك.

فأثارت كلماته عزيز فرد عليه:

_وإن لم أصمت ماذا ستفعل؟

فأخرج الرجل مسدسا كبيرا من جيب جلبابه، وأشار به نحوه قائلا من تدخل فيما لا يعنيه لقيَ ما لا يرضيه.

أصيب جميع من في عربة القطار بالذعر من مشهد المسدس، وبدأ أحد الرجال يجذب عزيز من سترته قائلا: مالك به؟ ارجع إلى مقعدك، هو حر مع ابنته.

جلس عزيز في موضعه، وهو ينفث غضبا متأففا، وأدخل والد الفتاة مسدسه في جيبه بعد أن أثار الرعب والحنق في قلوب المسافرين، فتمنوا لو يتقدم الزمن سريعا ليصلوا إلى وجهتهم وتنتهي هذه الرحلة المزعجة.

مرت لحظات هادئة وتفاجأ الجميع بنهرٍ متفجرٍ من الدماء يندفع من يد الفتاة التي غافلت والدها وقطعت شرايينها بقطعة زجاجة أخرجتها من حقيبتها سريعا، ثم فقدت الوعي.

كان والدها حائرا يصرخ ويصيح أوقفوا القطار أوقفوا القطار ابنتي تموت.

تجمع الناس حول الفتاة وحاول البعض أن يربط يدها ليتوقف الدم عن السريان إلى أن تصل سيارة الإسعاف في أول محطة. اندفع عزيز خارجا من

عربة القطار، متجها إلى العربة الرئيسية ليسأل عن (المحصِّل) أو قائد القطار ليخبره بما حدث، وليرى إن كان جائزا أن يوقف القطار أم لا.

وخلال اندفاعه، ومعرفة المسافرين بوجود حالة انتحار بالقطار بدأت الجلبة تنتشر هنا وهناك ووصل هو إلى أول عربات القطار، وسأل عن كيفية التصرف لإنقاذ الفتاة التي كادت تقضي نحبها، فأجابه قائد القطار إن أول محطة قادمة على بُعد نصف ساعة، وأنه سيتصل بالإسعاف لكي تنتظر القطار فيها. فشعر عزيز بخيبة الأمل وهو يرى روحا تكاد تموت وهو لا يملك التصرف، وتعمق بداخله إحساسه بالعجز وهو يسمعه يخبره بإنه لا يمكن إيقاف القطار بأي شكل وإلا ستحدث كارثة قد يموت على أثرها العديد من البشر.

انكمش عزيز في مقعده، وبدت على وجهه علامات اليأس وكان قد أخبر الرجل وهو يمسك بابنته التي تحول لون بشرتها إلى البياض خلال دقائق، إنهم قد اتصلوا بالإسعاف وسوف تصل في الحال.

كان يعلم تمام العلم أن الفتاة قاب قوسين أو أدنى من الموت، ولكنه لا يملك شيئا ليفعله. سمع المرأة التي كانت بالقرب من الفتاة وقد حدثَتها منذ ساعة، تقول بصوت مرتفع نسبيا لأبيها منك لله يا ظالم البنت فضلت الموت على ما تريد أن تفعله بها.

فنظر لها الرجل بغضب وقال:

_اصمتي لا تنطقي لا أريد سماع صوتك.

كانت الدماء مازالت تتدفق على أرضية القطار والركاب يضربون كفاً بكف، مشفقين على الفتاة المسكينة، ضحية جشع والدها، وعدم آدميته وبعد قليل دخل رجلا يحمل حقيبة صغيرة قادما بسرعة إلى عربة القطار، متسائلا أين الفتاة التي حاولت الانتحار؟

فأشار له الجميع نحوها، فصاح في الجميع: تنحّوا جانبا. أنا طبيب جراح سأُسعفها حالا، ثم حمل حقيبته، ووضعها بالقرب من موضع الفتاة، وفتحها ثم أخرج منها عدة أدوات جراحية، وملقط طبي، وخيوط جراحية وشريط لاصق، فتبرعت إحدى النساء بمساعدته، فكانت تُناوله ما يشير إليه، وكان يعمل في عجل، بينما يدعو الجميع للفتاة المسكينة لكي ينقذها الله وتنجو مما هيَ فيه.

تنفس الطبيب الصعداء، وسالت دموع والد الفتاة حين أخبره الطبيب بأنها ستنجو إن شاء الله، فقد قام بربط الوريد المجروح بينما أكد له إنه من الضروري أن ينزل من القطار في أقرب محطة، لكي يصحبها بواسطة الإسعاف، لإجراء نقل دم لها على وجه السرعة. فحمد الأب الله وشكر الطبيب الذي كان منهمكاً في إنهاء عمله، ولصق موضع الجرح القطعي، بينما تصبب عرقا، ثم قام الأب بتعديل وضع الفتاة الممددة على المقعد بمساعدة السيدة المتطوعة.

عزيز حَمِد الله، فقد كان يكره الظُلم بشدة، ولمَ لا وقد تعرض له كثيرا في حياته، وتمنى ألا يراه في نفسه أو مع غيره وكان يشعر بالشفقة للفتاة التي لا حول لها ولا قوة.

مرت دقائق وتوقف القطار في المحطة التالية، وكانت سيارة الإسعاف قد توقفت في المحطة، منتظرة الفتاة الجريحة، فقرر عزيز أن يهبط مع الرجل ليصحبه إلى المشفى، فأخبره بذلك وربت على كتفه، فنظر إليه الرجل بتعجب، ذلك إنه لم يعتد على تلقي مساعدة من أحد بدون ثمن. فقد ظن أن زمان المساعدات الإنسانية قد ولَّى، ولكن عزيز قال له:

_ سأرافقك حتى تطمئن عليها، ثم أستأنِف رحلتي في القطار التالي.

شكره الرجل في أدب برغم الانطباع الذي تركه لدى كل المسافرين في القطار من القسوة، وغلظة المشاعر.

وصلوا إلى المشفى، وتلقت الطوارئ الفتاة، فدخلت العمليات خلال لحظات، وتم طلب عينة من دم الأب لعمل نقل الدم. ولكن الأب كانت فصيلة دمه تخالف فصيلة ابنته، فتطوع عزيز بمنحهم عينة من دمه وكانت فصيلته **o.ve**- مما يعني إمكانية منحه الدم لأي فصيلة أخرى وبالفعل قد تم نقل أكثر من لتر من الدم للفتاة وتم إنقاذها، وكان والد البنت خجِلا من عزيز، لا يدري كيف يشكره أو يرد جميله فقال له:

اطلب ما تشاء، فأنا مدينٌ لك بحياة ابنتي.

فقال عزيز: لي طلبٌ واحد. وهو ألا تزوج ابنتك رغما عنها، رُد للعريس ماله، ودعها تتعلم. ما يدريك لعلها بعد أن تُتم تعليمها تنفعك، ويعوضك الله بها.

فوعده الرجل بذلك. وبعد مرور ساعة، انصرف عزيز من المشفى، بعد أن شعر بالرضا عن نفسه لأول مرة منذ زمنٍ بعيد.

****

6- فتاة مفقودة

استيقظت الأسرة كلها على صرخة مدوية من الأم شيلا. شيلا أغثني بسرعة أين ليكتارا ابنتنا؟
الفراش خالٍ البنت لم تنم بالمنزل بالأمس.
انزعج الأب وجرى مع ابنه كريسي لخارج البيت للبحث عن ابنته وانطلق الجميع في كل مكان ولم يعثروا للبنت على أي أثر. فور عودتهم للمنزل بكت أوتارا وقالت لهم ماذا أفعل أين أذهب وأصيبت بحالة من الهلع والصراخ.

ليكتارا بنت رقيقة مرهفة الحس لها عيب بارز جدا في شخصيتها هو الخوف وعدم الثقة في النفس تعيش مع أسرتها المكونة من أبيها شيلا وأمها أوتارا وأخيها كريسي وتعيش جدتها لأمها في منزل منعزل في شمال مدينتهم منف.
ليكتارا تحبها جدا لأنها تعاملها بحنان وود أما والدتها أوتارا فهي امرأة معقدة تعرضت في طفولتها لموقف مؤذى جدا نفسيا وهو أن صديق والدها تحرش بها وهي في الثامنة من عمرها فكرهت كل الرجال وكرهت نفسها وضعفها وكونها أنثى مما أتاح له أن يؤذى شعورها ويفزعها.

وعندما كبرت أوتارا تمنت ألا تنجب بنات ولكن حكمة الله فوق كل أماني البشر فبعد أن أنجبت ابنها كريسي وفرحت به جدا فوجئت بأنها حامل للمرة الثانية ورُزقت بفتاة جميلة وخفيفة الروح، كل من يراها يحسدها على جمالها، فازداد خوفها عليها حتى أنها كانت تلبسها ملابس قبيحة ولا تهتم بمشاعرها ولا بصحتها بل كانت تردد أمامها كثيرا أنها كانت تتمنى لو كانت ليكتارا ولد. فلم تكن تدع البنت تخرج وحدها أبدا كما أنها ربت ابنها كريسي على أنه من درجة أعلى من أخته ومن كل فتاة ومن حقه يأمر وينهى ويطلب ما يشاء من أخته وهي تطيع وكأنها خادمة له وللأسرة كلها. نشأت ليكتارا في أسرتها وهى تشعر بالدونية وشيئا فشيئا شعرت بكراهية جنسها ونقمتها عليه ولم تكن تعرف أنها جميلة لكثرة ما كانت أمها تردد أنها قبيحة ولن يقبل أحد أن يتزوجها ، أما الأب شيلا فكان يعمل كاتبا للفرعون وكان هذا منصب عظيم من أعلى المناصب في الدولة يتكسب منه أموالا يحسده عليها الجميع كما أنه يعرف الكثير من أسرار المملكة ،وكان شيلا يحب زوجته أوتارا جدا وينفذ كل ما تطلب، ومرات قليلة جدا تلك التي اعترض فيها على معاملتها السيئة لابنتهم وكثيرا ما كان يعنف الفتاة ويضربها أيضا ولكنه كان عاطفي بطبيعته، فكانت عاطفته أحيانا تغلبه فيحن على ابنته خاصة وهو يعلم أنها مظلومة لم تقترف ذنبا لتعيش بائسة تبكى كثيرا وتنعزل في بعض الأحيان لذلك لم تكن ليكتارا تكرهه وإنما كانت تتجنب إغضابه لخوفها منه كانت تصنع

من خيالها عالما خاصا بها تلعب بالدمى وحدها وتكلمها وتصادقها أيضا وتحيك لها الملابس وتفرح بذلك كم كانت تعامل دميتها بكثير من المحبة والحنان الذى حرمت منه في بيت أبيها.

وكان شيلا يعلم أبنائه القراءة والكتابة، وكان دائما يذكرهم بنصائح الحكيم آنى والتي تتضمن الأخلاقيات التي يتخلقوا بها. ومنها بر الوالدين فكانت مهما فعلت أمها معها تصبر وتتحمل وتخشى غضبها وتخشى غضب الله عليها.

وكبرت ليكتارا وأخيها كريسي وبلغت العشرين من عمرها بينما كان عمر أخيها الثالثة والعشرين وكانت تخاف مواجهة الناس فلا صديقات لديها سوى زيتا ابنه جارهم آدم وكانت تلتقى بها أحيانا أمام المنزل فتحدثها زيتا عن مغامراتها العاطفية وكيف أن الشاب الذى أحبته يقابلها كل يوم في نهاية النهار عند القصر القديم للفرعون وكانت ليكتارا تسمعها وقلبها يخفق من الخوف متعجبة من جرأة زيتا وكلما تخيلت نفسها في هذا الموقف تسمع دقات قلبها عالية وتستبعد تماما أن ترتبط أو تتزوج في يوم من الأيام خاصة وأن أمها كثيرا ما كانت تخبرها أنها ليست جميلة لتكسر اعتزازها بنفسها وترسخ في نفسها صعوبة أن تلفت نظر أي رجل في يوم من الأيام على عكس الحقيقة تماما.

ذهبت الأسرة كلها إلى منزل الجدة آتيا في أخر الأسبوع وهناك وجد كريسي ابن خاله جيكا فجلس معه في شرفة المنزل وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث وسمعا صوت أوتارا تنادى عليهما للغداء وبعد دقائق تجمعت الأسرة على الغداء وأخذ الجميع يتحدث ويتسامر والأولاد يلقون بالنكات الفكاهية ويتضاحكون إلا أن ليكتارا الوحيدة التي كانت تبدو على ملامحها القلق وعدم الراحة فهي لا تحب التجمعات الأسرية والحديث المباشر بكل أشكاله. فلاحظت جدتها ذلك وأخذتها إلى حجرة نومها لتتكلم معها. وكانت حجرة الجدة مريحة جدا.

بدأت الجدة بالكلام وعلى وجهها علامات الأسى:

ابنتي لماذا لا تبتسمين مثل الفتيات في مثل سنك لماذا تميلين للوحدة والانعزال؟

فانحدرت دمعة من عيونها قاومت نزولها ولم تفلح، وعند ذلك قالت لا شيء يا جدتي أنا لا أسعد إلا عندما أراكِ، لا أجد في حياتي ما يستحق أن أعيش لأجله، أكره نفسي أحيانا.

انزعجت الجدة وقالت فلتحي سنك يا بنتي أنتِ فاتنة والحياة تبتسم لمن يبتسم لها فلا تحزني حتى لا تسقيكِ من الحزن الكثير.

رجعت الأسرة لمنزلها وأخذت ليكتارا تفكر في كلمات جدتها وسألت نفسها لماذا لا نتبادل أنا وأمي مثل هذا الحديث من القلب؟ لماذا تكرهني أمي

لمجرد أنني فتاة وهذا إثم لم أرتكبه في الحقيقة فقد خُلِقتُ هكذا دون رغبة مني.

كاد عقلها أن يطير من كثرة التفكير ثم نامت وهي تتمنى لو أن الغد يحمل لها بارقة أمل في حياة أفضل.

اليوم هو عيد وفاء النيل صدر مرسوم من الفرعون كتبه كاتبه شيلا ينص على الإعداد لحفل عيد وفاء النيل واختيار عروس هذا العام وبالفعل تم إبلاغ المسؤولين عن تنظيم الاحتفال سنويا وتم اختيار الفتاه كالعادة وبدأت مراسم الاحتفال بقرع الطبول وإنشاد الأغاني في حب النيل ورقصت الفتيات على أنغام الموسيقى حتى حانت اللحظة الحاسمة وألقيت عروس النيل وسط قرع الطبول ثم انتهى الحفل وانصرف الجميع وعادت أسرة شيلا للمنزل وفى طريقها قابلت ليكتارا صديقتها واستأذنت أبيها أن تتحدث معها أمام المنزل لدقائق فوافق وأشارت لها والدتها أن تنتهى سريعا فجلست الفتاتان على مقعد أمام الشرفة الخارجية للمنزل ابتسمت زيتا وقالت : أعتقد أن النيل مليء بالعفاريت فهو يختطف فتاة كل عام . فتغير وجه ليكتارا وارتعدت ثم قالت أظن ذلك وأخاف من المسير ليلا على شاطيء النيل.

فقالت زيتا وعلى وجهها الاهتمام:

ألم تسمعين بقصة الملك الذي افترسته أفراس النهر ليلا أظن أنها كانت جنيات الماء اللاتي تظهر وتتحرك بحُرية ليلا بعد أن ينام الناس.

قطُبت ليكتارا جبينها وصمتت بينما كان يشي حال بالرعب المتناهي، ثم اعتذرت للمغادرة لأن والدتها تناديها.

في اليوم التالي سمعت الأسرة طرقات ليلا على الباب فنهض شيلا وكريسي ليريا ما الخبر فإذا برجل يخبرهما بوفاة الجدة المُفاجىء بينما كانت تجلس مع إحدى جاراتها.

انزعجت الأسرة كلها وقامت في الحال وجرى الجميع على منزل جدتهم آتيا بينما توجه شيلا إلى المعبد ليخبرهم بإعداد مراسم الدفن والتحنيط والجنازة.

بكت ليكتارا كما لم تفعل من قبل وكانت تشعر أن العالم ينهار من حولها فقد فقدت القلب الحنون والحضن الدافيء الذي لم تجده سوى عند جدتها.

وحانت لحظة الدفن بكل قسوتها وكانت زيتا تمسك بيد ليكتارا وهي تبكي وتنتحب وانتهت المراسم وعاد الجميع إلى المنزل. وبقت ليكتارا في الفراش منكمشة. وفى الصباح دخل شيلا حجرتها ولم يعثر عليها فهرع الجميع للبحث عنها في كل مكان وأبلغوا الشرطة وأخذت أمها تبكي ولا تعرف ما تفعل ثم ذهبت إلى منزل الجيران لتسأل زيتا عن ليكتارا وتسألها إن كانت أخبرتها إلى أين ستغادر منزل أبيها، طبعا زيتا نفت معرفتها بأي شيء عن

صديقتها وانزعجت جدا مما حدث وعرضت على الأم أن تتجه معها للبحث عن ليكتارا في كل مكان، فقالت لها أوتارا أنا قدماي لا تحملاني وقد خارت قواي سأعود للمنزل.

خرجت زيتا وحدها هائمة على وجهها تبحث عن صديقتها في كل مكان وتسأل كل من تلقاه عنها بلا جدوى، ولما أعياها البحث جلست لتستريح بجوار القصر القديم المهجور في جنوب المدينة وبعد دقائق انتبهت إلى المكان الموحش الذي تجلس فيه وأدركت أنها ابتعدت عن المنزل كثيرا.

وفجأة انفتح باب القصر فنظرت زيتا بتعجب لأنه قصر مهجور من سنوات وتسمع عنه العديد من القصص منذ نعومة أظافرها فارتعدت فرائصها وتلفتت حولها فلم تجد أحد وما هي إلا ثواني حتى رأت فتاة جميلة ترتدى ثوبا أحمر طويل تنزل على الدرج بهدوء مبتسمة ثم مدت يدها إلى زيتا لتسلم عليها فلما رفعت عينيها إليها صرخت زيتا من الرعب عندما رأت عيونها بلونها الأحمر الدموي وأحست أنها رأت الفتاة من قبل. مرت دقائق وعادت زيتا لتتذكر أنها نفس الفتاة التي رأتها تلقى في النيل منذ يومين عروس النيل. وقتها أطلقت زيتا قدمها للرياح وجرت بأقصى سرعة حتى وصلت إلى المنزل وأغلقت عليها الباب وهي ترتعش من الخوف، رأتها أمها على هذه الحال فلم تستطع أن تقص عليها ما رأت ودخلت لتنام. في اليوم التالي كانت أسرة شيلا قد مر عليها يومان دون أن تعثر لابنتها على أثر وكانت الأسرة قد انهارت من البكاء والخوف على ابنتهم.

وإذا بمن يطرق باب منزل شيلا فتفتح أوتارا لتجد امرأة لا تعرفها تخبرها أنها رأت ابنتها ليلة أمس وهي تدخل القصر المهجور في جنوب المدينة، فانقبض قلب الأم وظهر التوتر على ملامحها ثم أسرعت ونادت كريسي ابنها وأخبرته بما حدث وأنها ستذهب للبحث عن أخته في القصر المهجور وما إن سمع الشاب اسم القصر حتى خاف وقال لها صعب يا أمي أن تذهب إلى هناك ليكتارا خوافة لا يمكن أن تدخل هذا المكان المرعب لأي سبب.

فصاحت الأم لابد أن نبحث في كل مكان فرد عليها:

سأذهب لأبي وأخبره بكل ما قالت هذه المرأة ليحضر ويتصرف وأرجوكِ يا أمي ألا تتحركي وحدك وأن تدعينا نتصرف.

فأشارت برأسها بالموافقة وهي حزينة.

اتجه كريسي إلى أبيه في قصر الفرعون ليخبره بأمر هذه المرأة وأنها تدعى أنها رأت ليكتارا تدلف داخله. هنا ثار الأب وقال غير معقول غير معقول ثم اتجه للملك وأخبره بالقصة الذي دعا أفراد الأمن أن يتجهوا مع الأب لهذا القصر ويقتحموه ليبحثوا عن الفتاة المختفية.

بالفعل هاجم جنود الأمن المكان وبحثوا في غرفات القصر التي تبلغ المائتين غرفة ولم يجدوا شيء وكان معروفا عن القصر أن تصميمه غريبا جدا ومن يدخله ربما يُفقَد بداخله لتداخل الحجرات كالمتاهة وقد صُمِم بهذا الشكل لتضليل اللصوص ولكن منذ ما يقرب من خمسين عام قد غادره آخر

فرعون قد أقام فيه بعد أن فقد ابنه بداخله وفشل هو وجنوده في العثور عليه.

خرج الجنود خالي الوفاض بعد أن تعبوا جدا في البحث ولولا أنهم وضعوا علامات في طريقهم في ممرات القصر لتَعثَّروا في الخروج منه.

قال شيلا لزوجته أوتارا صفِي لي المرأة التي أخبرتك أنها رأت ليكتارا فقالت له كانت امرأة طويلة ترتدى ثوبا أحمر اللون وتضع تاجا فضي على شعرها الأسود الطويل. ولا أظن أنني رأيتها من قبل.

هنا انزعج الأب وعاد ليخبر الشرطة بأوصاف المرأة لعلهم يفهموا سبب ادعاءها الكاذب.

في المساء ذهبت زيتا إلى منزل أوتارا وجلست معها وأخذت تُهدأ من روعها وتخبرها أنها بحثت وستبحث مع الأسرة عن ليكتارا

وأخبرتها فيما أخبرتها بما حدث عندما اقتربت من القصر المهجور

ووصفت لها المرأة ذات الثوب الأحمر، وفى الحال تذكرت أوتارا أمر المرأة التي زارتها اليوم وأرشدتها إلى القصر للبحث فيه فاندهشت زيتا وقالت لها:

أنا ظننت أنها جنية خرجت من هذا القصر المرعب، وفى الحال قالت لها أوتارا: سأذهب إلى الكاهن في المعبد لأسأله عن القصر وأحكى له ما حدث ربما أرشدني لما ينفعنا.

وفي الحال اندفعت أوتارا إلى المعبد وحكت للكاهن ما حدث فأخبرها أنه قصر ملعون ومن الصعب البحث في داخله فأخبرته بما حدث من جنود الأمن وأنهم لم يعثروا على أي أثر لابنتها.

فأخبرها بضرورة تكرار البحث وأن تصطحب معها زوجها وتدخل بحرص ومعها علامات للبحث والمسير تجنبا للمتاهة بالقصر.

قضت أوتارا طيلة الليل تفكر كيف ستذهب للقصر ولم يغمض لها جفن ولم تجف لها دمعة وتريد حتى لو تقتحم النار لتجد ابنتها.

في الصباح أزمعت على الذهاب وحدها للبحث خوفا من غضب زوجها إذا هي ناقشت معه الأمر.

واتجهت إلى القصر مع نور الصباح ومعها أخيها وبداخل القصر تجولوا كثيرا ،وكانت الغرفات فارغة إلا من التراب والعنكبوت ولاحظا وجود باب في نهاية أحد الممرات مغلق فأصرت أوتارا على فتحه ،وبذلا معا جهدا شديدا حتى انفتح واتضح أنه يؤدى إلى سرداب تحت الأرض فمرا بداخل السرداب واستمرا بالمسير أكثر من ساعة وكان السرداب طويلا مظلما لا يعلما ما نهايته فاستمرا في المسير حتى غربت الشمس ولم يصلا إلى آخره ومرت لحظات صعبة وفى النهاية عثرا على باب آخر في نهاية السرداب خرجا منه ووجدا أنهما أمام شاطيء النيل في شمال المدينة بمعنى أن السرداب ممتد تحت أرضية المدينة يقطعها من شمالها لجنوبها وفى النهاية لم يجدوا الفتاة فسارا بجانب الشاطيء حتى وصلا لمنزل الجدة آتيا فدخلا إليه

ليتناولا الماء بعد شقاء اليوم العصيب الذى مرا به .وإذا بهما يجدا المفاجأة حيث عثرا على ليكتارا نائمة في فراش جدتها متدثرة بدثارها وتغط في نوم عميق .فصرخت أوتارا من المفاجأة ليكتارا. ليكتارا لا أصدق لم يضع تعبنا، فاستيقظت الفتاة وقالت أمي أنا آسفة لم أستطع أن أفارق روح جدتي فروحها في كل شبر من منزلها آسفة يا أمي أنى لم أخبرك.

فقالت الأم وعلى وجهها ملامح الاعتذار أنا الآسفة يا بنتي على كل ما مر بكِ وأعدكِ أن أصبح أمك الرؤوم الحنون بعد أن عرفت قيمتك.

****

7- الثُقب الأسود

أعدت ماجي كوباً من الشاي مضافاً إليه قليلٌ من تلك الأعشاب التي أخبرها خطيبها بأنها تساعد على الاسترخاء، بعد يومٍ طويل من العمل الشاق في معملها بمركز بحوث صحة الحيوان، استلقت على الأريكة قليلا، ثم انتبهت إلى طرقات خفيفة على زجاج نافذة الردهة المواجهة لها داخل المعمل، ثم رأت خطيبها يشير إليها لتأتي معه، مرت دقائق حتى استقلا معا احدى السيارات الطائرة التي تطوف بالشارع، وما إن هبطا منها حتى دخلا إلى مبنى ضخم يرفرف عليه علم الولاية، وسار معها سام داخل المبنى شاسع المساحة مصقول الأرضية كأنما بُني من الرخام الناعم، كل ما حولها كان باللون الأزرق الفاتح المقارب للأبيض، لمحت حول المبنى مجموعة من الرجال مدججين بالأسلحة يشابهون إلى حد كبير قوات (الكوماندوز) الأمريكية، حاولت الكلام ولكن لسانها أبى أن ينطق.

فتحوا أمامهم بوابة ضخمة، دخلوا منها إلى حجرة رمادية الحوائط، والأرضية والسقف وحتى النوافذ، مليئة بالأجهزة.. تشابه إلى حد ما سفينة فضاء.

انفتح من الجدار بابٌ دلفا منه معا، وبعد ثوانٍ اكتست جلودهم بملابس جلدية غريبة، فاستجمعت كل قوتها لتتكلم ولم تستطع، فهم سام أنها تريد أن تسأله ماذا أتى بنا إلى هنا؟

_ لا تخافِ. نحن في أكثر المناطق سرية على وجه الأرض

_ كيف وصلنا، لا أتذكر شيئا.

لم يجبها.

خرجا سريعاً إلى داخل الحجرة المليئة بالأجهزة، ثم تناول (بروشور) من أحد العاملين على الأجهزة، وخرج معها إلى الردهة الشاسعة، ثم بدأ يقرأ ما بداخله، ثم أعطاها إياه، وقالت بصوت خفيض:

_ إذاً هي رحلة إلى الفضاء! أم أننا في جنوب غرب نيفادا؟

_لا. بل رحلة إلى الأرض.

_ كيف؟ لا أفهم.

_ اتبعيني وستفهمين.

خرجا إلى ساحة واسعة مليئة بطائرات غريبة الشكل، لا تتسع سوى لشخصين، تشبه الطائرات الحربية.

صعدا معاً إلى الطائرة، وقاد سام بهما، وخلال خمس دقائق قد وصلا إلى مكان آخر، مليء بالثلوج البيضاء، فسألته:

_ ما هذا؟ أرجوك أفهمني، لن أسير معك خطوة واحدة دون أن أفهم.

_ انتظري قليلا، سيتضح الأمر

كانت هناك سيارة سباق يبدو أنها تسير بالطاقة الكهربية، حملتهما إلى منطقة أخرى سريعا، خالية نوعا ما من الثلوج.

انتبهت إلى المكان، وقالت له ساخرة كأننا في القطب الشمالي.

_ لا. بل الجنوبي.

_ماذا؟! عقدت المفاجأة لسانها، ولسان حالها يقول: أيُعقل أن نأتي هنا دون أن يخبرني؟

_ ألم تذكري لي رغبتك بالأمس في الذهاب إلى القطب الجنوبي، والتعرف على أحدث التجارب العلمية التي تتم بسرية تامة؟ بل والمشاركة فيها أيضا.

_ ماذا تقول؟ أجننت؟ لقد كانت مجرد أمنية! ولم أصدق أنه يمكن تحقيقها.

_ أنسيتي أننا عام **2090** وكل ما ننطق به يتم تسجيله وتوصيله للمسؤولين.

_ ظننت أن ذلك الحلم لا يخص غيري.

_ كيف هذا؟ نحن في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي زمن الجيل الخامس عشر للتغطية بشبكة الإنترنت.. يحصون علينا حتى أنفاسنا.

وما إن علموا برغبة أحد المواطنات في المساعدة في مشاريعهم العملاقة التي يقوم بها الأمن القومي، إلا ولبوا رغبتك، ولا سيما أنهم لا يجدون علماء متبرعين للعمل في هذه المناطق بسهولة.

يا إلهي لقد دخلتُ بقدميَّ في دائرة لا خروج لي منها.

اقترب منهما أحد الرجال يرتدي سترة صفراء اللون جلدية تغطي كل جسده عدا وجهه ويداه، ثم قال: تفضلا.

دخلا معا حيث مكتب أحد المدراء، وكان يرتدي نفس السترة الصفراء، ولا تبدو على وجهه أي تعبيرات من أي نوع، أومأ لهما وقال بصوت هادي:

_ارتديا هذه السترات سريعا، سيذهب معكما جيم إلى المعمل خلال ثواني، واستدار ليرجع لكن ماجي صاحت:

_ انتظر قليلا، إلى أين ستأخذوننا، وماذا سنفعل؟

_ هناك ستعرفون كل شيء.

خرجا معاً من الحجرة، وانضم إليهما جيم، ثم هبطا دَرجاً قصيراً، ووصلا إلى مصعد يتجه إلى الأسفل.

وبداخله ارتدى كل منهما سترته فوق ملابسه الجلدية، وتم لف حزام مثبت في الجدار حول جسد الثلاثة يجذب كل منهم إلى الجدار.

لاحظ سام أن جيم ضغط على زر كتب عليه رقم (150) فاندهش ولم يفهم، أيعقل هذه المسافة تحت سطح الأرض أم هي عدد الطوابق؟ ثم قال إلى أين؟

فقال جيم:

-إلى المعمل بالأسفل.

فلما انتبه جيم إلى عيون سام وهي مُركَزة على الزر فهم ما يفكر فيه، ثم قال:

_ نعم. هي المسافة التي سننزلها كما رأيت بالضبط.

لم يرد سام أن يسأل أي سؤال آخر، واكتفى بإخفاء قلقه عن ماجي المفعمة بالقلق من تلقاء نفسها، وليست في حاجة إلى المزيد.

أعطاهما جيم حبوبا لابتلاعها تجنبا لهبوط الدورة الدموية بسبب السرعة.

هبط المهبط بسرعة بهما، وفهِما سبب وجود الحزام الذي لولاه لسقط الجميع من شدة السرعة المهولة التي انطلق بها.

استقر المهبط في الطابق المراد، ثم خرج الثلاثة منه، كانت خطوات جيم ممشوقة وظهره مستقيم، يتحرك بطريقة آلية .

أخبره سام بأنه يريد معرفة ما العمل الذي سيقومان به.

فقال جيم أنت صيدلي وباحث، وهي عالمة في مجال علم الوراثة، أكيد ستقومان بإتمام أحد المهام المتعلقة بتخصصكما.

دخلا إلى معمل كبير، بداخله أجهزة ضخمة، ثم طُلب من كل منهما الجلوس إلى حاسوب وقراءة البحث الذي سيعملان عليه.

رأت ماجي أن مشروع البحث المكلفة به هو حقن جينات تم استخلاصها من أحد الحيوانات ورجحت أنه الأخطبوط حيث أن التسلسل الجيني له في غاية التعقيد، ولا يشبه ذلك الذي في كافة الكائنات الحية على الأرض، وكانت قد عرفت ذلك خلال تحضير رسالة الدكتوراة عنه من قبل، ثم

حقنها في بويضة قيل لها أنها لأحد سلالات الأبقار التي تتميز بإنتاج كم كبير جدا من اللبن.

فسألت الحاسوب وما الفائدة التي سنحصل عليها من خلط جينات سلالات مختلفة، فأجابها أن الجينات المستخلصة من هذا الحيوان ستسمح للسلالة المنقولة إليها بالتمتع بخاصية التجدد متى فقدت أحد أعضائها وكذلك بالعمر الطويل.

ففهمت الغرض، ولكنها تعجبت من الفكرة، على الفور بدأت العمل.

أما سام فكان يعمل على عقار مستخلص من أحد الفطريات يتم حقنه لحيوانات التجارب للقضاء على أحد الفيروسات التي وضع لها الرمز (o)، حيث أنه يسبب مرض لا علاج له.

وهو مازال في طور البحث، وسيتم حقنه لعدة حيوانات تجارب مختلفة وتسجيل ما يحدث.

تأكد سام أن الغرض هام، وربما البحث يخلد اسمه مستقبلا، فأقبل على العمل بنشاط شديد.

بقيا في المعمل حتى اليوم التالي، وتم تقديم حبوب لهما كبديل عن التغذية العادية.

وبعد الاستيقاظ صباحا، وجدت ماجي البويضة بدأت في أول مراحل الانقسام، فسلمتها لهم، فأخبرها أحد الباحثين أنه سيقوم بحقنها في الحالة 118 بنفسه وسوف يخبرها بالنتيجة.

كانت ممتنة، تشعر بالإثارة، وبأنها تمارس عمل هام جدا.

كل شيء على ما يبدو هادئا لهما، وهما متحفزين لنتائج أبحاثهما.

في المساء جلسا مع المدير التنفيذي للمشروع الذي أخبرهما بأنه لن يتم رجوعهما إلى موطنهما سوى بعد الانتهاء من التجارب، والأبحاث مع باقي فريق العمل، وأنه يمكن لماجي أن تتعرف على فريق الباحثات في المعمل المقابل لهم، لأنها سوف تشترك معهن في عمل آخر غدا.

فأومأت بالموافقة، واتجهت من فورها إلى المعمل.

قابلت الباحثة الأولى هي سارة والثانية كارين والثالثة إيما، فسألتهم:

_ أين نحن، ومن هؤلاء الباحثين، وما نهاية أبحاثهم؟ ومتى سيتم عرض نتائج الأبحاث؟

لم تجبها الباحثات عن أي سؤال، وتعللن جميعا بانشغالهن، مما أثار فضولها أكثر.

خرجت من المعمل، لمحت باباً في آخر الممر قد مر منه سام مع جيم، وتم غلقه بسرعة، ويحمل علامة إكس حمراء.

فأسرعت الخطى حثيثا، وحاولت الدخول منه دون فائدة حيث كان مغلقا من الداخل إلكترونيا

عادت إلى معملها الأول لترى ما وصلت إليه التجارب، قابلت أحد الباحثين الذي وضع غلالة مثقبة على وجهه، وسألته هل يمكنها رؤية الحالة **118** لتسجل ما يحدث لها من تغير؟ فأومأ لها أنه ممنوع وليس من

اختصاصها، ولكنها لمحت حقيبة عليها رقم 118 في يده فتابعته بنظرها، حتى اختفي حيث دخل نفس الحجرة التي دخلها سام وجيم من قبل.

توارت خلف أحد الأعمدة بالممر المؤدي إلى الحجرة، حتى حانت الفرصة وتم فتح الباب فأسرعت لتدخل منه وترى ماذا يفعلون، ففوجئت بامرأة داكنة البشرة ملقاة على تخت طبي ويتم عمل جراحة على ما يبدو لها.

ارتبك الحاضرون وصاح جيم:

_ما الذي أتى بك هنا؟

فأخبرته بأنها فهمت أن البويضة تم زرعها في رحم المرأة وليس في أحد الحيوانات، وأكيد العقار الجديد أيضا.

وضع سام يده على فمها وقال لها:

_ لا شأن لكِ، ثم جذبها إلى خارج الحجرة، وأخبرها أن من رأتها هي امرأة من الفضاء، وليست مثلنا، ويتم تجريب بعض الأدوية عليها كما يتم عمل أحد الأبحاث على قدرات الجيل الثاني لسلالتها.

شعرت بالصدمة، وسألته:

كيف أتت إلى هنا، وما مصيرها؟

_ لا أعرف

_هل سيتم عقابي على ما عرفت؟ وكيف يمكنني مساعدتها؟

فقال لها:

_ لا أدري.

في اليوم التالي تم وضعها حبيسة في معمل بمفردها، وبعد 4 ساعات دخلت إليها المرأة التي رأتها بالأمس في الحجرة (x) وقالت لها بلغة الإشارة، أنها تريد الرحيل إلى موطنها، فأخبرتها ماجي أنها ستحاول مساعدتها.

في المساء تفاجأ الجميع بصوت قوي وصاخب جدا، وفجأة انفجر الباب الزجاجي للمعمل الرئيسي الكبير، وتناثر الزجاج في كل مكان

فر الجميع من أمام الباب بينما سُحِق جيم وكارين وإيما، وصاروا قتلى خلال ثوانٍ.

أسرع سام إلى خطيبته وسحبها من يدها وهي متشبثة بيد الحالة 118 ودلفوا إلى مصعد كبير كان في نهاية الطابق، فضغط بسرعة على زر 150 وبدأ الثلاثة في ربط الأحزمة، ثم وصلوا إلى الأرض، وظلوا يركضون، بينما صافرات الإنذار تنطلق خلفهم.

وجدوا أمامهم طائرة غريبة الشكل، أشارت لهم 118 ليأتوا معها، ففعلوا.

تولت هي القيادة، وبدأت في الصعود لأعلى بأقصى سرعة برغم طلقات النار التي أحاطتهم من كل جانب.

وفي لحظات كانوا خارج نطاق الصحراء الجليدية التي يقع بها موقع المعامل.

ابتسمت المرأة وقالت لهم بلغة واضحة مرحبا بكم، احملوا أنابيب الأكسجين لأننا سوف نتخطى نطاق الجاذبية الأرضية خلال دقائق. التفتا إليها وقالا: أتعرفين لغتنا!

وإلى أين سنذهب.

فقالت:

_إلى كوكب بروسكيما، فالوصول إليه من الأرض يستغرق 43 سنة فقط.

فنظرا إلى بعضهما البعض غير مصدقين.

أثناء الرحلة همست ماجي في أذن سام:

_أنت من ورطني في كل ذلك، أكنت تعلم إلى أين سنذهب؟

_ صدقيني لا نملك حق الاختيار، أما الآن فقد تخلصنا من نطاق الجاذبية الأرضية، يمكننا التحدث دون أن يسمعنا أحد.

_ ولكننا فقدنا موطننا إلى الأبد، لقد تم اختطافنا، ولا نعلم ما سوف نقبل عليه، ربما أجروا علينا تجارب مثلما فعلنا مع هذه المرأة.

_ إذا لابد من خطة للرحيل.

صمتا طويلا وكل منهما يفكر كيف ينهي هذه المأساة.

مر يوم كامل، وهما لا يعلمان السرعة التي تسير بها مركبة الفضاء، حاول سام التسلل إلى قمرة القيادة، ولكنه لمح شبحا نورانيا في آخر الممر الواصل بينهما وبين القمرة. فانزعج، وفهم أنهما ليس وحدهما في هذا المكان.

عاد إلى ماجي فأخبرها بضرورة التسلل إلى 118 ومحاولة الحديث معها لمعرفة المدة المتبقية على وصولهما إلى الكوكب الجديد. فوافقت.

وفي أثناء الرحلة لمحتها من بعيد فتابعتها بنظرها، ثم دخلت إلى حجرتها، واستأذنت في الحديث معها.

سألتها عن المدة المتبقية على الوصول فقالت لها ماهي إلى ساعات وسنصل بالنسبة لتوقيتكم القديم على الأرض، ولكنها في الواقع سنوات.

_ماذا تنوون أن تفعلوا معنا؟

_ لا تخافي، لدينا أخلاقيات. لسنا مثلكم، ولن نؤذيكم.

_ لا تنسي أنني حاولتُ مساعدتك للرجوع إلى موطنك.

_ أعلم ولا أنسى شيئاً، اطمئني ستنالون الراحة والسعادة التي فقدتموها من عشرات السنين على الأرض.

دلف سام حيث الشبح الضوئي الذي رآه، وبدأ في محاولة تبين ماهيته، فاتضح له أنه روبوت ضخم، فتحدث معه:

- إلى أين نحن ذاهبون؟

- إلى كوكب بروسكيما

- لماذا؟ ماذا ستفعلون بنا. أقصد أنا وماجي

- لا تخف

- نحن نريد العودة إلى الأرض

- بعض الدراسات عليكم. لن نؤذيكم لا تقلق. وسنعيدكم قريبا إلى الأرض

فهم سام أن شكوكه كانت في محلها فقرر بذل الجهد والتصرف للهرب سريعا.

تحين سام فرصة شعر فيها أن 118 نائمة، واتفق مع ماجي على دخول غرفة التحكم، ومحاولة الهبوط بسفينة الفضاء حيث أن له خبرة في هذا الأمر اكتسبها أثناء عمله في وكالة ناسا سابقا.

دلفا معا الغرفة وأغلقها سام إغلاق إلكتروني بحيث لا يمكن فتحها سوى من الداخل، ثم بدأ في تغيير الاتجاه الذي تطير به مركبة الفضاء فعدله نحو الأرض من خلال أحد الثقوب السوداء، ورفع السرعة إلى أعلى مدى لها، ثم انطلقت المركبة عائدة بهم إلى موطنهم. تبينوا بعد وصولهم إلى الأرض أن رحلة عودتهم استغرقت خمسة وعشرون عاما.

****

8- أحلام لا تنام

تطاير الشرر من عيون محاسن حين رأت ابنة زوجها مازالت نائمة، صرخت صرخة مدوية:

_ استيقظي يا بنت فالشمس ملأت الدنيا ولدينا عملٌ كثير

_ ها. ها ماذا حدث؟

_أزعجتك يا حبيبتي؟ أنا آسفة

انتفضت أحلام مذعورة، وفركت عينيها بأطراف أصابعها، ثم نظرت إلى الساعة فوجدتها السادسة صباحا، قالت بانكسار:

_ مازال الوقت مبكر، ماذا سنفعل الآن؟

_ لدينا عمل كثير، هيا لتسلقي الأرز والعدس والمكرونة

نهضت البنت ووثبت من فراشها مسرعة في طريقها إلى الحمام، ثم خرجت منه مسرعة نحو المطبخ لتصنع المطلوب منها يوميا.

وضعت الكشري في إناء ضخم بعد إعداده ثم حملته وذهبت إلى المتجر الذي استجرته زوجة أبيها لكي يبيعا فيه أسفل البناية التي يقطناها.

تطاير الدخان من داخل إناء مصحوبا برائحة العدس والمكرونة الشهية، بدأت في إعداد الصلصة والبصل المقلي، وتوافد عليها الزبائن من أصحاب الحوانيت القريبة في شارعهم وحول ميدان الصاغة المجاور للمتجر. تبعتها

رحاب حاملة الأطباق النظيفة، والعلب البلاستيكية التي تعبيء فيها الكشري.

ثم جلست محاسن أما المكتب الصغير بمدخل المتجر تحصل النقود من المشترين، بينما تناول أحلام كل زبون طعامه الذي طلب دون زيادة ودون كلام، ولكن بعض المشترين يسترقون النظر للفتاة الفارعة الطول ذات العيون العسلية الحوراء. وهي لا تلقي بالا لأحد. وتجمع جُل اهتمامها لكي تصبَّهُ على عملها حتى لا تخطيء فتتعرض للعقاب من زوجة أبيها.

أنهت محاسن عملها، في المساء وكان قد استنزف طاقتها بالكامل فصعدت الدرج إلى شقتها وهي متعبة لا تكاد قدماها تحملانها.

ولكن فجأة انطفأ مصباح الدرج، فارتعبت وسقطت الأواني التي في يدها مصدرة جلبة شديدة، حاولت تبيُن الطريق أو جمع ما سقط منها في الظلام ففشلت. نادت بأعلى صوتها خالتي رحاب خالتي رحاب لم يجبها أحد، فبقت في مكانها ساكنة ثواني ما لبث الخوف أن يتسرب في نفسها خلالها. سمعت صوت هامس ينادي: أحلام تعالي. اقتربي

فقالت برعب وقد جف حلقها:

_ مَن؟

_وفجأة أحست بيد تطوقها وأحدهم يجذبها نحوه في عنف، فصرخت، لكنه عاجلها بأن وضع يده على فمها، فعضت يده بأسنانها فأبعدها فعاودت الصراخ. في الحال سمعت خطواته وهو يهرول بين الأواني في صخب، ثم

عادت الكهرباء في الحال. كانت أحلام تبكي غير مصدقة ما حدث معها، كل ما تخشاه أن تعرف محاسن به وتعاقبها عليه كالعادة، فقد دأبت على عقابها وهي المجني عليها لا الجانية.

جمعت الأواني وصعدت إلى شقتها، ثم دخلت مسرعة وألقت بنفسها على التخت في حجرتها وأخذت في البكاء المرير.

عندما أفاقت تمالكت أعصابها، وغسلت وجهها ثم حاولت إخفاء ما حدث، ولم تطلع محاسن عليه.

ولكن شيئا ما قد انكسر بداخل قلبها، وهي لا تقوى على التصريح به لأحد.

مرت الأيام والعمل اليومي كما هو والشقاء يحدق بالمرأتين، ولا بادرة أمل تلوح في الأفق للخلاص من هذا الروتين المرهق.

كان سعيد ابن الحاج قدري تاجر الأقمشة في الشارع المجاور دائم الحضور إلى محل الكشري، يتناول أطباقا منه أحيانا، ويرسل غيرها للعاملين في متجر والده أحيانا أخرى. وفي أحد المرات كانت محاسن بالطابق العلوي لأمر ما، فانفرد بأحلام وطلب منها العمل في متجر الأقمشة الخاص بوالده، فسألته بدهشة ظاهرة:

_ أليس العاملين به يكفون؟

_ لا نحن بحاجة لفتاة كي تبيع للنساء وتفهم أذواقهن، وطلباتهم التي نختار معها كثيرا.

فقالت له:

_ لا مانع لدي، ولكن لا أعتقد أن خالتي محاسن ستتخلى عن مساعدتي لها بسهولة

_ لا تخافي، أنا سأحدثها وأعطيها مبلغا من المال كل أول شهر عوضا عن عملك معها بالإضافة إلى راتبك الشهري الذي سيكفيكِ بإذن الله.

هزت رأسها موافقة، والأفكار تتلاعب برأسها، فحاولت التخلي عنها حتى ينكشف لها ما في الغيب.

في المساء وجدت محاسن تناديها من غرفتها، وتخبرها بعرض سعيد الذي قدمه لها اليوم، فأظهرت أنها تفاجأت بالأمر، وردت في الحال: كما ترين يا خالتي، لا رأي لي.

فضحكت المرأة ضحكة صفراء وقالت: موافقة، والمال سيعود علينا بالنفع وأنا سأحاول تشغيل المحل بمفردي أو الاستعانة بأحد الصبية المحتاجين للعمل في الحي، وما أكثرهم.

انصرفت أحلام وهي لا تصدق ما سمعت، وبداخلها أمل في التخلص من الشقاء ودخول عالم جديد عليها. فهي لا تتذكر منذ متى لم تترك محل الكشري أو البيت إلى أي مكان آخر. فمنذ وفاة والدها وهي تلازم المنزل، ولا تستطع الفرار من العمل.

بدأت أحلام في العمل وهي متخوفة من أي خطأ، ولاسيما أنها حاصلة على الإعدادية فقط، ولا تجيد الحسابات، فآثرت أن تبتعد عن تقاضي الأموال من الزبائن، وتكتفي ببيع الأقمشة والكلام مع النساء، وقد أظهرت لصاحب المتجر وابنه اهتماما وجدية في العمل مما دعاهم إلى الاعتماد عليها كثيرا في كل ما يخص البيع واقتصار عمل باقي البائعين على تقاضى الحساب من الزبائن وتنظيف المحل، وقضاء المشاوير التي تستلزم إرسال البضاعة إلى بيت الزبائن في بعض الأحيان.

تغيرت حالة أحلام سريعا من الحزن الذي كان ظاهرا على قسماتها، إلى البشر وبوادر إنفراجة للأزمات النفسية التي كانت تكبل خطواتها، وتكسبها سنا أكبر من عمرها الحقيقي. صارت تهتم بمظهرها، واشترت من المتجر الذي تعمل به بعض الأقمشة لتحيكها لها مدام كاميلا التي كانت تسمع عنها من جارتها سماح فيما مضى، وسريعا ما ارتدت الأثواب الجديدة ذات الألوان المبهجة الأحمر والوردي والأصفر، ووضعت بعض المساحيق الخفيفة على وجهها، ولكنها على ذلك لم تسلم من لسان زوجة أبيها، التي كانت تقرعها كلما رأتها، وتذكرها بسنوات عملها لديها، وبضرورة عدم نسيان أصلها.

وخلال عدة أشهر بدأ الخطاب يطرقون باب محاسن لطلب يد أحلام، وهي ترفض بإصرار. ولما سألتها عن السبب، أجابتها أنها غير مرتاحة نفسيا لهم. وكان ذلك هو العذر الذي تسوقه في كل مرة، لكي تهرب من الزواج، بينما

تعرف في قرارة نفسها أن السبب مختلف، وفي إحدى المرات أصرت محاسن على قبول العريس الذي تقدم لأحلام بدعوى أنه مقتدر وسيريحهم من العناء في العمل، كما أنه لن يكلفهم مليما في نفقات الزواج، ولكم أحلام أصرت على الرفض، فسبتها وإتهمتها بأبشع الاتهامات، وأخبرتها أنها هي الأخرى ستتزوج في الشقة ولا تريد لأحلام البقاء بها لهذا الحين.

فكرت أحلام مليا وبدا عليها الضيق، فلاحظ سعيد تغير حالتها إلى الحزن، فسألها عن السبب، ولكنها لم تفصح له عما يشغلها ويعكر مزاجها، فسأل محاسن وهو يعطيها الشهرية، فأخبرته أن عريسا قد تقدم لأحلام وهي ترفضه بلا سبب، وأنها تريد مصلحتها لأنه لن يعوض، ومقتدر ماديا. فقال لها: لا تضغطي عليها، ربما تقدم إليها من هو أنسب منه. صمتت المرأة وقد بهتت، إذ بدأت تلمح في عينيه إعجابا بأحلام، ففهمت غرضه، وصمتت.

في اليوم التالي أخبر سعيد والده برغبته في التقدم لخطبة أحلام، فرفض رفضا قاطعا وأعلنها صريحة، أنه سيتبرأ منه لو تزوجها، فهي ليست مكافئة له في المستوى المعيشي والتعليمي، غضب سعيد منه، وقبع بالمنزل رافضا النزول إلى العمل احتجاجا على تحكم والده فيه، وشعر الرجل أنه سيخسر ابنه، فطرد أحلام من العمل، حتى لا يراها سعيد أمامه وينساها مع الوقت. وما إن علم سعيد بما فعله والده حتى أصيب بالغضب، وذهب لزيارة أحلام في منزلها، وطلب من محاسن يدها. فسألته عن أسرته، فقال:

إن والده يرفض هذه الزيجة، ولذلك طرد الفتاة من المتجر برغم حاجته إلى عملها.

فقالت محاسن:

_ كيف ستنفق عليها إذا عاديت والدك؟

_ سأعمل في متجر آخر

_ هل لديك مسكن؟

_ نعم لدي شقة باسمي سنؤسسها معا

سآخذ رأي أحلام وأرد عليك فور حصولك على عمل آخر، أنا لا أريدها عائدة إلى بعد زواجها بشهرين بسبب ضيق الحال. وضعها الآن أفضل.

_ أعدكِ أن أبحث عن عمل ولن أتزوجها إلا إذا استطعت الإنفاق عليها.

انصرف سعيد وعاد إلى بيته، ثم أخبر والدته بضرورة التحدث مع والده ومحاولة إقناعه بقبول زواجه من أحلام، فهي فتاة مطيعة ومنكسرة، ومن أصل طيب، كما إنه يحبها ولن يتزوج سواها.

عرضت محاسن على أحلام أمر سعيد، وسألتها إن كانت توافق عليه كزوج، فأومأت بالموافقة، فأخبرتها أن حياتها ستمتلأ بالمشاكل لأن والده سيتخلى عنه بسبب رفضه هذه الزيجة، فقالت:

سأقف بجانبه كما وقف بجانبي سابقا، ودعاني للعمل.

حدثت والدة سعيد والده في الأمر ثانية، وأخبرته أن سعيد مصر على هذه الفتاة، وأنها لا تريد أن تخسر ابنها، كما أخبرته أنه اختبر أخلاقها أثناء العمل ويعرفها جيدا، ولا يعيبها فقرها. ولكن الرجل أصر على موقفه.

****

9- صبرٌ جميل

تصفح إسماعيل الجريدة الصباحية ببطء، وتمعَّن في كل صفحة يقرأها باحثا عن عمل، ولكن لم يصادفه سوى إعلان عن وظيفة شيف في مطعم ملحق بأحد الفنادق في مدينة العلمين الجديدة، فكر مليًّا في الأمر وقال لنفسه:

المسافة من القاهرة إلى العلمين طويلة جدا، كيف سأحضر أسبوعيا لأطمئن على والدتي المريضة، كما أن تكلفة السفر بالتأكيد ستكون عالية وتستنزف جزء كبير من راتبي الشهري، لن تصلح هذه الوظيفة لي.

نادته والدته من حجرتها بصوت ضعيف، فسارع بالذهاب إليها وقال باهتمام بالغ:

_ ما بكِ يا أمي؟ صوتك واهن اليوم!

_ لا شيء يا بني، أرجو فقط أن تعطيني الدواء قبل أن تخرج، فأنا لا أستطيع النهوض من الفراش.

_ تفضلي ها هو. لا تتحركي من الفراش، سأعد لك الفطور حالا.

_ جزاكَ الله عني خير الجزاء يا حبيبي، فمنذ أصابني داء السكري وأنت لم تقصر معي نهائيا، أدعو لك الله أن تعثر على عمل مناسب.

_ اللّهُمَّ آمين.

تناولت والدة إسماعيل الطعام والدواء، ثم اتصل هو بخالته لتأتي وتبقى معها حتى عودته من الخارج، وكان عازما على البحث بنفسه عن عمل لعل وعسى أن يجده، فيساعد في مصروفات البيت والعلاج، فلم يكن له إخوة، ومعاش والده _رحمة الله عليه- لا يكفي.

بعد مرور ساعة حضرت خالته سهام، لتتولى رعاية أختها حتى عودته من الخارج.

بدأ يدخل المحلات التجارية ليسأل عن عمل كبائع، فلم يجد.

فكر في البحث عن عمل في صيدلية، فسأل معظم الصيدليات القريبة من منزله، ليتمكن من الوصول سريعا إلى والدته لو تم الاتصال به في أي وقت، ولكن لم يوفق في الحصول على عمل داخل شوارع حي شبرا الخيمة، فاتجه إلى شبرا مصر وبدأ يبحث من جديد وفي آخر صيدلية دخلها نظر إليه الصيدلي مطولا، ثم سأله:

_ هل تعرف اللغة الإنجليزية؟

_ نعم. نعم كنتُ طالبا في كلية الآداب ولكنى لم أكمل دراستي لظروف عائلية.

_جميل جدا. سأضعك تحت الملاحظة لمدة أسبوع، وخلالها سأعرفك أماكن الأدوية، وستتابعني كيف أعامل المترددين على الصيدلية، ثم سأقوم بتقييم أداءك في نهاية الأسبوع، وأقرر هل ستصلح للعمل هنا أم لا.

_ اتفقنا، أنا جاهز منذ الآن.

_ بدأ العمل على الفور، وبدأت وصفات الدواء تنهال على الصيدلة التي كانت بالقرب من مستشفى الساحل، ولا سيما وصفات العمليات الجراحية، التي تتطلب عدد كبير من الأدوية: منها الخاصة بالتخدير والمضادات الحيوية، والشاش والقطن والخيوط الجراحية، وهو يتابع عن كثب كل ما يفعله الطبيب بمنهى الانتباه لكي يحفظ أماكن كل شيء، وينظر بتمعن في الوصفات ليتبين خط الأطباء الذي أحيانا ما يكون غير واضح.

فسأل الصيدلي:

_ماذا أفعل إذا لم أستطع قراءة خط الطبيب، أو التبس عليَّ الأمر بخصوص صنفين من الدواء تتشابه حروفهما.

_ بسيطة جدا، اتصل بالطبيب الذي كتب الوصفة الطبية، واسأله هل تقصد دواء كذا أم كذا؟ الأهم عندي ألا تصرف دواء لست متأكدا منه، حتى لا تحدث كارثة نتيجة خطأ في العلاج، وتقع عليَّ أنا مسؤوليتها في النهاية.

_ مفهوم طبعا، أهم شيء صحة المريض وسُمعة الصيدلية.

_ تمام هذا ما أقصده.

الوصفة القادمة أنت من ستقرأها، وتتولى صرفها.

_ سأفعل.

بعد مرور نصف ساعة، دخل أحد الرجال يحمل وصفة طويلة جدا مليئة بأصناف الأدوية على وجهيها. وكان يبدو حزينا، ومتسرعا حيث قال للصيدلي:

_ بسرعة إذا سمحت، فوالدي تعرض لحادث سير، ودخل العمليات.

فرد إسماعيل:

_ شفاه الله، حالا سأحضر لك العلاج.

وبدأ يقرأ الأدوية واحد تلو الآخر، ويضع علامة على كل دواء يقوم بإحضاره من داخل الأدراج أو من على الرفوف، والصيدلي يتابعه ويساعده في كتابة الأسعار في ورقة منفصلة، ويقوم بالجمع أولا بأول على الآلة الحاسبة، حتى انتهى إسماعيل من إعداد الدواء بالكامل، وصرف الوصفة، وقام الطبيب بمحاسبة الرجل على عجل الذي اتجه نحو الباب مسرعا فارتطم بالجدار، ثم خرج من الصيدلية على وجه السرعة.

شجع الصيدلي إسماعيل قائلا:

_ أحسنت، كنتُ أراقبك، كل الأدوية صحيحة، يبدو أنك تتعلم بسرعة.

_ الحمد لله. ولأنني في حاجة إلى العمل سأبذل قصارى جهدي لأنجح في عملي وأؤديه بكل دقة.

ظل الصيدلي يتابع إسماعيل، ولم يتركه بمفرده طيلة مدة الأسبوع سوى أوقاتا قليلة، كما كان يفرغ الكاميرات أولا بأول ليتأكد من أمانته، قبل أن يسلم له الصيدلية ويحدد له (شيفت) يكون مسؤولا فيه عن العمل.

وقد أخبر إسماعيل إنه لحُسن حظه أن إثنين كانا يعملان بالصيدلية قبل حضوره طلبا للعمل، وتركا العمل فجأة مما سبب ارتباكا للصيدلي، وقد أرسل له الله إسماعيل ليساعده، وسوف يبحث عن آخر للعمل معه أيضا.

تم انتظم إسماعيل في عمله الجديد، وقد حدد له الصيدلي (دكتور) مدحت عبد السلام راتبا مجزيا على أن يأتي للعمل في الوقت المسائي من الساعة السادسة وحتى الثانية صباحا.

فرحت والدة إسماعيل جدا، ودعت له الله أن يوفقه في عمله الجديد، ويحفظه.

سارت الأمور في الصيدلية بيسر أول شهر، وفى الشهر الثاني تم تعيين فتاة للعمل مع إسماعيل بالصيدلية ولكن في الوقت الصباحي، حيث أن الصيدلي يعمل بمستشفى حكومي وغير متفرغ للصيدلية حتى الساعة الثانية بعد الظهر، فكانت تعمل منذ الثامنة صباحا حتى السادسة مساءا، حتى يتسلم منها إسماعيل عمله يوميا.

ومنذ اليوم الأول لاحظ إسماعيل مبالغة جيهان في وضع مساحيق التجميل والإكسسوارات، وملابسها الضيقة جدا، فكان ينتقدها بينه وبين نفسه، ويتمنى لو تتحلى بالحشمة، خوفا عليها من تعرضها للمتاعب بسبب مظهرها.

لكنها كانت دمثة الخلق، وتتحدث إليه بكل ذوق، وقد علم من دكتور مدحت إنها حاصلة على بكالوريوس التجارة، وظروفها تحتم عليها العمل

سريعا، وأنه سوف يعتمد عليها في تنظيم إدارة الصيدلية، ومحاسبة الضرائب، وحساب المبيعات السنوية، والأرباح ومحاسبة شركات الأدوية وغيرها.

وبعد عدة شهور بدأ إسماعيل يتعرض لبعض المضايقات من أحد المتسكعين ليلا، للحصول على الأدوية المخدرة الممنوعة بدون وصفة طبية.

فأخبر صاحب الصيدلية بذلك، فطلب منه معرفة اسم هذا الشخص ليتم الإبلاغ عنه في قسم الشرطة.

وبالفعل في نفس اليوم وفى تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل نفس الشخص عليه طالبا للمخدر، فسأله عن اسمه وأخبره أن هذا الدواء ليس عنده وأوهمه إنه سيحاول أن يوفره له قريبا.

فأبلغ الصيدلي الشرطة عن رجب كارم ذلك المدمن الذي يتعرض له بالصيدلية ليلا.

فتم القبض عليه، وأخذ تعهد عليه بعدم دخول الصيدلية مرة أخرى وإلا تعرض للسجن.

قص إسماعيل على والدته ما حدث فقلقت عليه، وأخبرته بضرورة ترك هذا العمل الخطِر، والبحث عن عمل آخر بالنهار.

فوعدها بذلك، وهو حائر ويعلم جيدا أن البحث عن عمل آخر صعب جدا.

في اليوم التالي وأثناء تسلُم الشفت من جيهان، وجدها تسأله عما حدث بخصوص الشخص المدمن الذي أراد أن يصرف مواد مخدرة.

فاندهش لمعرفتها بالأمر، وسألها كيف عرفت؟

فأخبرته أن عمها جميل هو ملازم أول في قسم الساحل، وقد سألها إن كانت هي نفس الصيدلية التي تسلمت فيها العمل مؤخرا أم لا، كما أخبرها أن هذا الشخص بلطجي وله سوابق، ومن الخير لهم أن يبتعد عن الصيدلية تماما.

بدأ القلق يتسرب إلى نفس إسماعيل عند سماعه لذلك، وأخبرها برغبة والدته أن يترك العمل في هذا المكان لنفس السبب.

فقالت له:

_ من الصعب أن تعثر على عمل آخر، ولكن يجدر بنا أن نطلب من الصيدلي أن يوفر لك حارس ليلي يبقى معك ومعه سلاح مرخص، لكي تتجنب المخاطر التي قد تتعرض لها ليلا وأنت بمفردك.

_ فكرة جيدة أتمنى أن يوافق عليها دكتور مدحت.

انصرفت جيهان، وهو يفكر مليا كيف سيقنع الصيدلي بتوفير حراسة ليلية، وكيف سيفاتحه في الأمر.

وفي اليوم التالي فاتحه إسماعيل في أمر توفير حراسة للصيدلية، فأخبره بأنه يفكر في هذا منذ زمن طويل ويعلن عن البحث عن حارس ليلي برفقة إسماعيل زيادة في الأمان.

شكر إسماعيل جيهان على فكرتها التي تم قبولها والعمل على تحقيقها. وبدأ يتحدث إليها بمودة كلما استلم منها الشفت يوميا.

شعر إسماعيل بارتياح لجيهان وهي أيضا بادلته نفس الشعور، ثم تجرأ وحدثها بشأن مظهرها الذي يضايقه، وأكد لها أنه لولا خوفه عليها لما سمح لنفسه بالتدخل في مسألة تُعَد حرية شخصية لها. فتغير لون وجهها، عندما سمعت كلامه، وشعرت بالإحراج، ثم أخبرته إنها تقدر طريقة تفكيره، وخوفه عليها وستحاول أن تغير من مظهرها مستقبلا.

في مساء يوم الجمعة وهو عطلته الأسبوعية، جلس إسماعيل مع والدته وأخبرها بميله نحو الفتاة التي تعمل في الصيدلية معه، ورغبته في الارتباط بها.

فرحبت والدته وفرحت جدا ولكنها سألته:

_ ولكنك ليس لديك شقة، فأين ستتزوج؟ هل ستقبل زوجتك أن تعيشا معي هنا؟

_ سأعرض عليها الأمر يا أمي، فليس من المعقول أن أتركِكِ وحدكِ وأنتِ مريضة، كما أن ظروفي لا تتحمل أن أشترى شقة، وأؤسسها حاليا، ولابد أننا سنتعاون معا لشراء ما يلزمنا.

_ صبرٌ جميل يا بني، والله المستعان.

دعت له والدته بالتوفيق وتحقيق السعادة لأنه ابن صالح بارا بها.

وفى خلال يومين كان يتحدث مع جيهان عن رغبته في خطبتها، شرح لها ظروف مرض والدته وخوفه عليها، وحاجته للعيش معها في نفس الشقة، ثم رغبته في التعاون معها في بناء عش الزوجية.

احمر وجه الفتاة، وخجلت وطلبت منه مهلة للتفكير قبل التقدم لأسرتها من أجل الزواج.

بعد أسبوعين، ردت عليه بالقبول، وأكدت له أن المسائل المادية يمكنهما التشارك فيها، وأن شخصية الرجل أهم عندها من أي اعتبارات أخرى.

ومنذ ذلك الحين تغير مظهرها، وقلت جدا المساحيق التي تستخدمها للتجميل، كما أصبحت ملابسها فضفاضة ومناسبة جدا للعمل.

وبعد الخطبة وإذا بالصيدلي يخبر جيهان باستغنائه عن عملها، وقام بفصلها نهائيا.

كانت صدمة لها، فهي في حاجة إلى العمل لكي تساعد إسماعيل في نفقات الزواج.

كما أن إسماعيل تفاجأ مثلها تماما، وكان يود ترك العمل بالصيدلية هو الآخر، ولكن والدته وخطيبته، نصحتاه بعدم التهور لأنه في حاجة إلى كل قرش لمصروفات الزواج.

بحثت جيهان عن عمل آخر، وقرأت في الجرائد عن وظيفة الشيف في الفندق بالعلمين التي رفض خطيبها من قبل التقدم إليها، ولم تكن تعرف بذلك.

ثم بدأت في إقناعه بأن تتقدم إليها، فهي ماهرة في الطبخ كما أنها ستعمل بها بصفة مؤقتة حتى موعد الزواج، وحينها ستتركها، وذلك لكي توفر مبلغا يساعدهما في تغيير أثاث شقة والدته وتجديدها وطلائها.

وبعد إلحاح شديد وافق على تقدمها للعمل، على أن يصحبها، إلى هناك ليرى المكان ويطمئن إليه.

وسافرا معا، ثم تقدمت للاختبار الذي يسبق التعيين في الوظيفة، وقامت بطهي كافة الأصناف المطلوبة منها بنجاح، واجتازت الاختبار بتفوق ثم ظفرت بالوظيفة التي يصل راتبها إلى عشرة آلاف جنة في الشهر.

فرحت جيهان جدا بالعمل الجديد، ولكن خطيبها لم يكن سعيدا بنفس الدرجة، وقرر أن يرضخ للأمر الواقع حتى تنتهي فترة الخطبة بسلام، ولا سيما إنها وافقت على كل ظروفه.

ومنذ اليوم الأول أثبتت جيهان كفاءة عالية في العمل، ولاقت وصفاتها نجاحا وقبولا شديدين بين رواد المطعم، لدرجة أن الأعداد زادت وأصبح- ضغط العمل عليها شديد، فكانت تضطر إلى البقاء واقفة على قدميها ساعات طويلة يوميا قبل إنهاء عملها. حيث تذهب إلى فراشها في الاستراحة المعدة لها بصحبة باقي العاملات في الفندق، وهي جد متعبة لا تستطع أن ترفع قدميها عن الأرض.

كانت تشكو لخطيبها صعوبة العمل، ورغبتها في الراحة فور انتهاء الخطبة، وأن يعجل في شراء كل ما يلزم، بينما هو يعدها بمستقبل مشرق خالٍ من المتاعب.

مر عام على هذا الحال وقبل انتهاء عقدها مع الفندق، طلب منها المدير تجديد العقد على أن يرتفع راتبها إلى خمسة عشر ألف جنيه شهريا.

لكنها اعتذرت بأنها مقبلة على الزواج، ولا يمكن أن تبقى في هذه المدينة أكثر من ذلك.

ففكر المدير في الاستفادة من كفاءتها بنقلها من العلمين إلى فرع الفندق في مدينة القاهرة حيث إنها ستعمل بنفس الراتب هناك. فوافقت على الفور.

أخبرت إسماعيل بما حدث وبأنها ستعمل في القاهرة في فرع الفندق في وسط البلد.

فغضب، وأخبرها باتفاقها معه على ألا تعمل بعد الزواج، وبأنها قررت البقاء في العمل دون استشارته، مما يعنى استهانتها برأيه، وعدم حاجتها إليه، مما يشي بمشاكل مستقبلية ستنجم عن عدم احترامها لرأيه.

وبعد مداولات كثيرة بينهما حيث أجابته إنها لم تستهين برأيه، وإنما هو عرض لا يمكن أن تفوته، ولم تشك للحظة في إمكانية رفضه له. فاقتنع برأيها أخيرا ووافق على عملها بالقاهرة.

تم طلاء الشقة بطلاء جديد باللون الوردي الفاتح، وتم تغيير الأثاث بالكامل، وشراء مطبخ جديد بكل ما فيه، وشراء مصوغات ذهبية

للعروس، كما منح الفندق حجزا لحفل الزفاف مجانا لجيهان وهدية من الفندق لها.

وقد أشرفت بنفسها على إعداد قالب الحلوى الخاص بالحفل، ودعت كل معارفهما وأسرة العروسين. حيث كان حفلا مميزا لا يمكن نسيانه.

وبعد الزفاف، أخبرت إسماعيل بالبحث عن سيدة أمينة للبقاء مع والدته فترة بقائهما بالعمل، كما وجدت لزوجها وظيفة في الاستقبال بالفندق.

وحصل على راتبا يقارب راتب زوجته، وبعد عامين اشتريا شقة جديدة قريبة من عملهما، فقالت له والدته:

_أترى لقد عوضك الله خير، فأنا أدعو لك بالتوفيق دائما

_ لابد أن تأتى للعيش معنا في الشقة الجديدة، يا أمي، كيف سأطمئن عليكِ وأنتِ بعيدة عني هنا؟

_ لا يا بنى لا أستطع ترك بيتي، وعزيزة التي تصاحبني في الصباح، سأعرض عليها المبيت معي، وخالتك منزلها بالقرب مني وستزورني يوميا، فلا تقلق بشأني.

_ حاول إسماعيل المستحيل ليقنع والدته بالقدوم إليه، ولكنها رفضت.

ودعت لهما بالسعادة وبأن يرزقهما الله بالذرية الصالحة ليسعد قلبها، وقلبهما، فهما يستحقان كل الخير.

****

10- كانت واهمة

تعمدت أن تلقي بحقيبة الأوراق خاصتها أمامه وهو يعبر الطريق إلى معمل الباثولوجي، فانحنى أمامها يجمع الأوراق ويمنحها إياها قائلا، انتبهي يا ابنتي، تصنعت الخجل وقالت، آسفة يا دكتور، ثم مرقت من الممر المؤدي إلى الباب الخارجي واختفت عن الأنظار، كل ما كان يشغل بالها وقتها، هو أن تلفت انتباه ذلك الطبيب الوسيم الذي يدرس للدفعة أحد العلوم الأكاديمية الباثولوجي، أو أمراض الأنسجة، فقد عاهدت نفسها على أن يعرفها ويهتم بها منذ أول دقيقة رأته فيها، لا تدري لمَ برغم فارق السن الذي تخطى الخمسة عشر عام، لم تفكر في ذلك ولكن هناك شيء ما يجذبها نحوه، فهي تنتظر محاضرته بفارغ الصبر، وتذاكر مادته بتركيز منقطع النظير برغم صعوبتها، حتى تكون جاهزة للإجابة إذا قطع الشرح وسأل سؤالا في المحاضرة السابقة، تعمدت أن تجلس في الصف الأمامي ليراها جيدا، وكانت تحاول العمل على الحصول على أعلى التقييمات في اختبارات أعمال السنة، وما هي سوى فترة وجيزة إلا وكان قد حفظ اسمها بالكامل عن ظهر قلب، لأنها حصلت على الدرجة النهائية في أكثر من اختبار على التوالي، لمحته وهو مغادرا لسيارته المرسيدس متجها نحو غرفة العميد، فاستوقفته، وسألته عن إحدى النقاط في المحاضرة السابقة،

فأجابها ببساطة، فابتسمت لكي يشرق وجهها بالفرحة لأنه جاوبها، ثم حولت نظرها عنه في خجل، فأنهى المناقشة بلطف ثم غادر.

ظلت طيلة النهار تتذكر ما قال، وتحمل كلماته آلاف المعاني التي لم يكن يقصدها، ظلت تفكر كيف تكلمه مرة أخرى لتبدي اهتمامها بمادته وتعرب عن حبها لها، ولكن الفرصة لم تسمح بذلك.

شاهدت أعضاء اتحاد طلبة طب القاهرة يوزعون إعلانات عن رحلة إلى الأقصر وأسوان، ورأت اسمه ضمن المصاحبين للرحلة، فحجزت سريعا لتشارك فيها، على أمل أن يجمعهما لقاء، ويتحدثا.

ظللت طوال الليل تعد حقيبتها وتختار أبهى ملابسها، لتكون في أجمل صورة أمامه، كانت تغزل بأحلامها لوحات لهما معا تسعد قلبها حين تراها، وفي الصباح استقل الطلبة والطالبات الحافلة في طريقهم إلى الأقصر، فتلفتت باحثة عنه، فعلمت أنه استقل سيارته الخاصة وسيقابلهم في الأقصر. وبعد انتظار على أحر من الجمر، لمحته يغادر سيارته وبصحبته فتاة شابة رائعة الجمال، بهتت حين رأتها، ولكن المفاجأة أنه اتجه نحوها وقدم لها الفتاة قائلا: شيراز ابنتي، أعتقد أنكما ستكونان أصدقاء

فصمتت ومضت من أمامه وكأنه صفعها فأيقظها على الواقع المرير.

****

11- أكثر من حياة

رفعت نظارتها الطبية بحدة وتناثرت خصلات شعرها الفاحم، فتناولت قلمها بعصبية وشرعت تكتب وهي ترتجف:

أبي العزيز:

أرجو أن تلتمس لي المعذرة، سأسافر إلى أوكرانيا غدا، فهذا واجبي الذي يفرضه على عملي بالصحافة، أتفهم جيدا أسباب رفضك، ولكن شعوري بالواجب يحتم عليَّ الرحيل.

تقبل اعتذاري وسلامي الحار، أتمنى دعواتك لي بالسلامة ابنتك حنان

طوت الورقة، وتركتها على طاولة الطعام، ثم حملت حقيبتها الظهرية ومضت.

عاد أدهم من عمله بالمشفى، وما إن نادى على ابنته إلا ولمح الخطاب على الطاولة، فتناوله بسرعة، ثم مرر بصره عليه بلهفة، وألقاه بعيدا بغيظ صائحا:

اللعنة. هذه البنت العنيدة لا تدرك عواقب ما فعلت.

هرع خارجا من الشقة، ثم قاد سيارته مسرعا نحو مطار القاهرة الدولي، محاولا العثور عليها لمنعها مما تصمم عليه. ولكن هيهات أن يعثر عليها.

نظر يائسا نحو السماء، فلمح إحدى الطائرات المقلعة توا، فتخيل حنان بداخلها، ففرت دمعة من عينيه خوفا عليها، وبعد دقائق، سار متثاقلا نحو سيارته، ثم قادها نحو صديقه الطبيب النفسي مطاوع البري

دلف من باب العيادة، وأشار للممرضة، فأبلغت الطبيب بقدوم صديقه (دكتور) أدهم، فأشار لها بإدخاله فورا.

_ مرحبا أدهم، ماذا دهاك، أراك ذابلا زائغ العينين

_نعم. أنا في محنة أشعر بالعجز، فابنتي حنان سافرت إلى أوكرانيا لتغطي تحقيقا صحفيا عن الحرب الروسية الأوكرانية

_ ألم تخبرك بالسفر من قبل؟

_ بلى. ولكني أبديتُ رفضي لذلك الأمر ولم تستمع إلى نصيحتي

_ حماسها كصحفية، تغلب على شعورها كابنة بارة بأبيها

_ قلبي يكاد يعتصر من الخوف عليها، أسمعت الأخبار اليوم؟

_ أجل. لديكَ كل الحق في ذلك. يرددون أن روسيا ستستخدم السلاح النووي ولا أحد يعرف دقة هذه الأنباء.

_ يضغطون على روسيا بالعقوبات الاقتصادية، وكأنهم يقودونها نحو الحرب، ويتمنون ما تقدم عليه.

_ الوضع مقلق حقا

_ ابنتي الوحيدة في مهب الريح، وأنا أقف مكتوف الأيدي. أنت تعلم أنه ليس لي في الدنيا سواها، بعد وفاة زوجتي، لو أصابها مكروه سأموت.

سالت دموع أدهم، فحاول إخفاءها خلف نظارته، ولكن مطاوع لمحها، فأومأ له أن يستلقي على التخت المخصص للمرضى.

ثم قال:

اصبر وتفاءل خيرا، فالأخبار تنشر في كل لحظة عن الحرب، ولا أظن أن أحد الصحفيين قد أصابه مكروه، فهناك معاهدات دولية لحماية الصحفيين، ويمكننا الاطمئنان عليها عن طريق الاستفسار من الجريدة التي تعمل بها، لنقف على آخر الأخبار عنها، وعن الطاقم الصحفي المسافر ككل.

دق هاتف أدهم فقام بالرد عليه، وإذا بها ابنته تخبره أن هذا رقمها وأنها وصلت بخير، وتعتذر له عن سفرها دون موافقته.

كتم دموعه، وأجابها بقليل من التماسُك:

_حدثيني عن أخبارك باستمرار، أريد أن أراكِ كلما تمكنتِ، أدعو لكِ بالسلامة.

_ لا تقلق يا أبي معي الله سيحميني، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

_ ونعم بالله يا ابنتي، اعتني بنفسك

انقطع الاتصال فجأة فارتجف أدهم، وارتعشت يده ثم سقط الهاتف منه أسرع مطاوع بإعطائه حقنة مهدىء وأخبره بأنه لن يتركه وحده الليلة حتى يطمئن عليه.

غفى أدهم بعد دقائق، وظل بالعيادة حتى اليوم التالي.

أسرعت حنان بالانتقال مع زميلها الصحفي رشاد والمصور أمجد، من الفندق إلى أحد المباني الخاصة بوزارة الصحة الأوكرانية بالحافلة، وفي الطريق رأوا آلاف الأوكرانيين يحملون أمتعتهم بصحبة أبنائهم متجهين إلى سيارات أعدت خصيصا لنقلهم إلى بولندا.

هبط الفريق الصحفي أمام الحافلات وبدأوا بسؤال المواطنين المهاجرين عن وجهتهم وعن بعض المعلومات عنهم وعما أصابهم نتيجة للحرب

لم تضيع حنان الفرصة، وبدأت تكتب مقالة بعنوان:

مواطني أوكرانيا أين مستقبلهم؟

أشارت إلى من تعرضوا لقصف منازلهم ومن فقدوا أعمالهم، ومن اختفى بعض أفراد أسرهم، كما حددت بالتفصيل ما جنته الحرب من دمار وخراب، ودفع ثمنها المواطنين العزَّل.

كتبت أن أكثر من ثلاثة عشر ملايين لاجيء تركوا وطنهم، منهم من طلب اللجوء إلى بولندا ومنهم من ذهب إلى رومانيا، وسلوفاكيا، ومولدوفا، ومنهم من لجأ إلى بيلاروسيا وإلى روسيا نفسها لجأ عدد غير قليل يتعدى الملايين والجميع طلب إقامة مؤقتة حتى تنتهي الحرب.

أرسلت المقال سريعا إلى الجريدة لنشره كأول خبر تقف عليه في رحلتها.

عاد الفريق الصحفي إلى الحافلة، وفي الطريق بدأت تظهر القرى والمدن التي تم تدميرها بجلاء، وظهرت آلاف المنازل المحترقة والمباني التي طالتها آثار الحرب المدمرة.

قال رشاد لأمجد:

هيا سريعا، أريد أكبر عدد ممكن من الصور، لنرفق كل خبر بصور تفصيلية، فبدأ المصور في التصوير، ولم تدع عدسته أي مكان يبدي تبعات الحرب إلا وصورتها.

اتصل رشاد بالجريدة وبدأ يملي على المحرر السياسي بها أحد الأخبار الصحفية

كما أوضح له أن روسيا قد أعلنت أن السبب الرئيسي للحرب هو استبعاد أوكرانيا من حزب الناتو، فمنذ استقلالها عام **1991** بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، وروسيا تعتبرها جزء منها وأن الشعب الأوكراني والروسي هما شعب واحد. كما ذكر بوتين أنه سيطهر أوكرانيا من النازيين، وسينزع السلاح منها وأن هدفه من الحرب هو حماية من تعرضوا على مدى ثمانية أعوام للتنمر والإبادة من قبل الحكومة الأوكرانية الحالية.

وأكد أن احتلال الأراضي الأوكرانية ليس في خطته، ولا ينوي فرض أي شيء على أحد بالقوة. ورغم ذلك فقد فرضت روسيا سيطرتها على عشرات البلدان وواصلت القصف، ولم تعبأ بالأضرار التي لحقت بالمدنيين من جراء الحرب التي لا ذنب لهم فيها، كانت الأخبار تتواتر عن قصف أحد الأسواق التجارية، ومقتل عدد من المدنيين، بينما ترد أخبار من وكالات أنباء أخرى تؤكد أن السوق التجاري كان خاليا تماما من البشر، ومهجور. ولا أحد يعلم الحقيقة على وجه التحديد.

وصلت الحافلة إلى مبنى وزارة الصحة الأوكرانية، وبسؤال بعض العاملين هناك، أكدوا أن آخر عملية عسكرية روسية قد سببت إلحاق الضرر ب **324** مستشفى وتدمير **24** آخرين.

فقال رشاد: أعتقد أن المستشفيات الميدانية هي الحل حاليا في مثل هذه الظروف، فوافقت حنان، وكان التعب قد نال منها ما نال، بينما كان أمجد يلتقط الصور بسرعة فائقة. ولكن بعد قليل سمعوا جميعا دوي انفجار عبوة ناسفة بالقرب منهم، فصرخت حنان من الفزع مثلما فعل المارة بالشارع والشوارع المحيطة، وخلال ثواني كانت الأشلاء البشرية تتناثر هنا وهناك. انهارت حنان مما رأت وأخفت عينيها بيديها، وهرول رشاد نحو أقرب متجر وسأل عما حدث، فأخبره البائع أن صاروخا تم إطلاقه من غواصة بحرية أصاب أحد المباني التي تحتوي على مكاتب حكومية، وتم جرح وقتل عدد من المدنيين.

تجمع رشاد وأمجد وحنان، وعثروا على سيارة أجرة انتقلوا بواسطتها إلى الفندق لينالوا قسطا من الراحة. ولكن في الفندق في حوالي الثانية صباحا سمع الجميع صوت ارتطام شديد، وإذا به صاروخا يتم قذفه على الفندق فيركض الجميع في الشارع ليلا مذعورين، تتعرض حنان لصدمة عصبية وتنهار تماما فيتم نقلها إلى مستشفى في إحدى المدن بالقرب من كييف، ويتم احتجازها حتى تتحسن.

يحاول أدهم الاتصال بحنان دون جدوى فيرتعب، ويصطحب مطاوع إلى امقر الجريدة ليقف على آخر الأنباء التي ترد من المراسلين الصحفيين بالخارج، فلا يعلم أحد شيئا عما حدث للمراسلين في كييف.

يزداد القلق، فيفكر أدهم في السفر إلى أوكرانيا، ويحادث مطاوع في الهاتف وهو قلق، ونبرات صوته تنبئ عن فزعه من مجرد فكرة فقدان ابنته، يحاول مطاوع أن يثنيه عن عزمه فيقول له:

_ على رسلك، ربما كانت الاتصالات منقطعة وسيتم استعادتها لاحقا

_ كيف لي أن أهدأ وأنا لا أعرف مكانها؟

_ ستعرف قريبا، اصبر، اعطي نفسك بعض الوقت وسترى

_ لقد عقدتُ العزم على السفر غدا، إلى بولندا ومنها إلى أوكرانيا

_ لا أستطع أن أتركك وحدك، انتظر حتى أحجز للطيران معك

_ وهو كذلك

غفى أدهم قليلا وهو على مقعد بالردهة، ولم يستطع أن يضع جنبه على فراشه، من شدة الرعب، كان كمن يقطع المسافات بعقله، ويعد الثواني حتى يمر اليوم ويسافر في الغد إلى ابنته الوحيدة.

حاول رشاد وأمجد استخراج حنان من المشفى دون جدوى، وتوقفا عن العمل، حيث لازماها بداخل المستشفى طيلة الوقت.

لكن رشاد فكر في استغلال تلك الأيام في سؤال الجرحى من ضحايا الحرب عما حدث لهم وما الذي أتى بهم للعلاج، وبعض التفاصيل عن القصف ومواعيده، وغيرها ثم كتب مقال صحفي جريء وأرسل به إلى الجريدة في مصر ليتم نشره، وتتناقله وسائل الإعلام العالمية من موقع الأحداث.

غادر أدهم ومطاوع المطار، وأثناء وجودهما بالطائرة، طالعا بعض الصحف وعثر أدهم على مقال رشاد، فلاحت لهم البشرى أن الوفد الصحفي بخير، فاطمأن قلب أدهم وبدأ الأمل في نجاة حنان يراوده.

نزلا في الفندق الذي كان الوفد الصحفي يقطنه من قبل، حيث تم عمل الترميمات به بأسرع ما يمكن، وعلما من إدارته أن الصحفيين المصريين كانوا به، وغادروه فجأة دون سبب.

في المساء خرج أدهم مع مطاوع للبحث عن حنان وسؤال كل من يقابلهم عنها، وخلال ذلك فوجئوا بقصف جوي للحي السكني المقابل لهما فهرعا بجريان ووصلا إلى مبنى سنترال محلي في شارع خلفي، دلفا بداخله، منتظرين حتى تنتهي الغارة الجوية، ولكن أصوات القصف تعالت، وبدأت ألسنة اللهب تنفذ إلى داخل المبنى فانزعج كل المختبئين بداخله، وعلت أصوات الصراخ بداخله، بينما أدهم ومطاوع مضطربين، ويشعران بأنهما في مأزق حقيقي.

مرت ساعتان، وفى النهاية استطاعت القوات الأوكرانية السيطرة على الحريق، ومساعدة الجميع على الخروج من المبنى.

التقطا أنفاسهما وهما يترنحان محاولان العودة إلى الفندق بعد أن تجمد الدم في عروقهما من الخوف.

ولكن في الطريق وجدا رجلان يستوقفاهما ويتحدثان باللغة العربية ويسألانهما عما حدث فلا يستطيعا الإجابة من هول الموقف، ولم يعرفها حينها أنهما رشاد وأمجد زملاء حنان.

في اليوم التالي ارتفعت حرارة مطاوع فاضطر أدهم إلى اصطحابه إلى المشفى، وهناك تم احتجاز مطاوع، بينما وجد أدهم عدد كبير من الجرحى والمصابين من جراء الحرب، وعندما علمت إدارة المشفى أنه طبيب، طلبت منه التعاون في إسعاف المصابين، فتأثر جدا من المناظر البشعة التي رآها من حروق وجروح ووفيات للكبار والأطفال، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يؤدي واجب إنساني يدعوه ضميره إليه، فتعامل مع المرضى وكأنه في بلده، وأسعف الكثيرين منهم.

في المساء طلب منه مدير المشفى المرور على قسم الحالات النفسية، لمتابعة من تأثروا بالحرب والمناظر الشاقة التي رأوها، فذهب إلى القسم، وفي اعتقاده أن الجرحى والمصابين حالتهم أهم وأخطر. ولكنه ما إن دخل الحجرة الأولى إلا وفوجئ بحنان ابنته بداخلها، فصرخ من المفاجأة وجرى إليها مسرعا واحتضنها وهو يبكي غير مصدق أنه عثر عليها، بعد أن بدأ

يفقد الأمل في ذلك. فحمد الله كثيرا، ثم أخبر مدير المشفى أن المريضة هي ابنته التي يبحث عنها، ومن ثَم أخرجها من المشفى على عهدته الشخصية، واصطحب كذلك مطاوع ثم اتجهوا جميعا إلى المطار ليعودوا إلى بلادهم سالمين، بعد أن علم أدهم أن حياة الإنسان لنفسه فقط لا تساوي شيئا.

****

12- بيتي ومن بعده الطوفان

نظرت بعينيها الممتلئة بالدموع إلى والدتها وقالت:

_ماذا كان سيضيركم لو بقيتُ معكم دون زواج؟

_ماذا تقولين يا ميار!

_ ألن تجدوا لي الطعام؟ أكنتُ سأموت لو لم أتزوج؟ أخبريني يا أمي، وانخرطت في بكاء أشبه بالنحيب، تضاءل العالم أمام ثريا حين سمعت هذه الكلمات على لسان ابنتها، ولم تكن تخطر لها على بال، بهتت قليلا ثم استجمعت شجاعتها وقالت:

_ إنه والدكِ، أكان يستطيع أحد أن يقول له لا؟

_ لم تتذوقوا المرارة التي أشعر بها كلما نظرت إلى وجهه القاسي، وكلما رد عليَّ بأسلوبه البارد المستفز، وأنا أدرك جيدا مدى غبائه وحمقه.

_ كيف تتكلمين على زوجك هكذا إنه والد أبنائك.

_ كفاكم مداراة للحقيقة، وكتمان لها، أنا لا أدفن رأسي في الرمل مثلكم.

_ هذا كلام جديد عليكِ، ماذا دهاكِ؟

_ وصلتُ إلى حافة الانهيار، زوجتموني صغيرة لا أستطع الاختيار ولا الاعتراض، ولا يمكنني أن أخبركم عن إحساسي بالقهر وأنا صاحبة المؤهل

الجامعي البيضاء الجميلة الرشيقة، أتزوج ممن هو دوني في المستوى التعليمي، وفي العمل والعقل وكل شيء.

_ كفي عن هذا الحديث فقد فات الأوان، ولم يعد هناك فرصة للتراجع وإلا هدمتي حياتك رأسا على عقب، وتذكري أنه لا ذنب لأولادك في هدم منزلهم وتشتيت غزلهم.

انصرفت ميار مسرعة ودفعت الباب فاصطك بقوة وبصوت شديد.

ما إن انصرفت إلا واندفعت ثريا في بكاء شديد، فهي تشعر بكل ما حدثتها ابنتها عنه، ولا تملك أن تطاوعها، فمن سينفق على الأولاد لو عادت إلى منزل أسرتها مطلقة، تجل أذيال الخيبة. فهي تعلم أن معاش زوجها محدود ويكفيهم بالكاد.

دلف حَكَم زوجها إلى حجرتها، فقد أزعجته الجلبة فاستيقظ من قيلولته، وسألها عما يبكيها، ولمَ نشبت معركة بينها وبين ميار.

فقالت له بتأثُر:

_ البنت تلومني لأنني وافقت على زواجها، وهي لم تر يوما جيدا مع زوجها.

_ لمَ؟ ماذا كانت تريد؟ أليس رجلا؟ ألا ينفق عليها وعلى أولادها؟ هل قصَّر معها في شيء؟

_ ماذا أقول لك لن تفهمني. ابنتك متعبة فاض بها الكيل، زوجها يخالفها في كل أمر من أمور حياتهما، تحول منزلهم إلى ساحة حرب وعناد، وتحدي، كيف في هكذا منزل أن ينشأ أولاد أسوياء؟

_ هي لم تشكو منه سابقا، وعلى حد علمي هو لا يضربها ولا يبخل عليها بماله، كما أنه لم يكن يوما زير نساء، فما العيب فيه؟

_ الحياة ليست طعام وكساء فقط، أين التفاهم والانسجام والمشاركة التي تسعد البشر وتقوم عليها دعائم الحياة القويمة.

_ كفاكم فلسفة أكلت عقولكم. إياكِ أن تعصِّيها عليه، أو تطاوعيها فيما تفكر، ستهدم حياتها ويتشرد أبناءها. إذا استطعت وأنا على المعاش أن أنفق عليها فلن أنفق على أبناء رجل آخر، أترضى هي أن تترك أولادها وتعيش هنا؟ لا أظن.

نظرت زوجته إليه بمرارة، فهي تعلم جيدا ما سينتهي إليه الحوار، ولن تنال منه سوى اللوم والتقريع.

في صباح اليوم التالي، ارتدت ملابسها وذهبت لزيارة ابنتها في منزلها لتطمئن عليها، فوجدتها طريحة الفراش حرارتها مرتفعة، وتعاني من الصداع، ولا تستطع حتى القيام من فراشها.

فدخلت ثريا إلى المطبخ وأعدت الإفطار لجعفر زوج ابنتها وللأولاد قبل ذهابهم إلى المدرسة، وماهي سوى ساعة إلا وكان المنزل خاويا سوى منها هي وابنتها.

أعدت كوبا من عصير الليمون وناولته لابنتها ثم طلبت طبيب العائلة وأعطته عنوان ميار ليمر عليهم قبل ذهابه إلى عمله في المشفى لفحصها.

وبعد الفحص أخبرها الطبيب بأن ضغطها مرتفع، وحرارتها أيضا ويوجد احتقان في حلقها، ثم وصف لها بعض العقاقير وطلب منها الراحة وعدم مغادرة الفراش ثلاثة أيام على الأقل.

فقالت ميار لأمها:

_ابقي معي فلن أستطع مواجهة طلبات الأولاد وأنا على هذه الحال.

فاضطرت ثريا إلى أن تتصل بحَكَم ليحضر لها بعض الملابس والحاجيات، وأفهمته في الهاتف ما ألم بابنته من مرض، وضرورة ملازمتها حتى تشفى.

رتبت ثريا منزل ابنتها وأعدت الطعام، وغسلت الصحون، كما رتبت حجرة الضيوف التي ستُقيم فيها، وفى المساء ناولت ابنتها الدواء بانتظام طبقا لتعليمات الطبيب.

وحين عودة جعفر من عمله، سمعته يصيح في زوجته:

_ أنتِ نائمة في الفراش وأمك تخدمك؟ ألا تخجلين من نفسك؟ هي ضيفة عندنا، هيا أعدي لها الطعام وقدمي إليها الفاكهة.

فردت عليه بصوت خافت وهي لا تقوى على الجدال:

_ أنا مريضة، وأمي طلبت الطبيب ليفحصني، وأخبرني بملازمة الفراش على الأقل ثلاثة أيام.

_ هكذا كل الأطباء يبالغون في المرض ليحللون ما يأخذونه من مال.

طرقت ثريا على الباب ففتح لها جعفر قائلا تفضلي يا حماتي أهلا وسهلا.

_سمعتُ صوتكما العالي من الحجرة المجاورة، أنا هنا لأخدم ميار، وليس لأتناول الطعام والشراب. سأعد لك الطعام حالا، ودع البنت لتستريح حتى تشفى كما قال الطبيب، وإلا صحبتها إلى بيتي، ووقتها لن تستطع أنت وأولادك تصريف أموركم. صمت قليلا، ثم خرج من الحجرة متجها إلى الردهة، لينتظر الطعام الذي ستعده له حماته كما وعدت.

قالت ثريا لميار:

_لا تحزني يا ابنتي هكذا كل الرجال لا يشعرون بزوجاتهم متى مرضت.

لم تجبها ميار ولكنها شردت ولسان حالها يقول:

_ربما كانت هذه فرصة لترى أمي بنفسها ما أعاني.

في المساء تجمع الأولاد الثلاثة حول جدتهم في حجرتها، وتسابقوا في اتخاذ موقعا قريبا منها على التخت ليستمعوا إلى حكاياتها التي تعودوا عليها في طفولتهم.

في الصباح استيقظت الأم فجرا للصلاة فسمعت جعفر يوقظ زوجته، ويطلب منها أن تعد له كوبا من الشاي ليضبط دماغه.

فشعرت بالضيق الشديد من هذا الرجل الذي لا يريد أن يفهم معنى مرض زوجته، فطرقت الباب عليهما متحججة بالسؤال على ابنتها وهل تناولت الدواء الذي حان موعده أم لا.

ثم سألت جعفر هل تريد شيئا أعده لك قبل أن أذهب إلى حجرتي لقراءة القرآن الكريم؟

فطلب منها كوبا من الشاي وهو متحرجا وينظر إلى زوجته قائلا: ألا يجدر بكِ أنتِ أن تعدي لي ما أحتاج؟

فقالت أمها:

_ألم أخبرك أنها مريضة؟ ألا ينبغي لها أن ترتاح ولو ليوم واحد أثناء مرضها؟ ماذا بك؟

مرت ثلاثة أيام ثم تعافت ميار وحزمت أمها أمتعتها لتعود إلى منزلها بينما كانت عيون ميار تستنجد بها وتطالبها بأن تبقى ولو قليلا معها حتى لا تنتكس مرة أخرى.

حين وصلت ثريا إلى منزلها قصت على زوجها كل ما حدث، وكيف أن ابنتها تعاني من هذا الرجل القاسي القلب الذي لا يقدر تعبها، ولكن حكم لم يعبأ بكلامها، وفي النهاية أخبرها أن ميار ليس لها سوى بيتها وأولادها.

مر يوم آخر ثم حدثت ابنتها في الهاتف، وطلبت منها أن تأتي إليها، وتستقر لديها يومين فقط بدون أولادها، حتى تتعافى تماما، وكان في رأسها هدفٌ آخر.

وافقت ميار على رأي أمها، ووصلت إليها بعد ساعة، ولكنها أخبرت أولادها بأنها ستمكث عند جدتهم يومين فقط لظروف طارئة.

عاد جعفر من عمله فوجد المنزل بدون زوجته، والأولاد يبكون، حيث قامت مشاجرة بينهم قبل قليل، كما وجد ملابس متناثرة هنا وهناك في كافة أرجاء المنزل، وعسلا منسكبا على أرفف الثلاجة، وسكرا على أرضية

المطبخ، وإحدى المناضد مقلوبة على الأرض، فشعر بالانزعاج الشديد وكاد يُجن، من المنظر، فصرخ بأعلى صوته ما هذا؟ هل هو منزل أم سيرك؟

جرى خلف الأولاد ليعاقبهم على إفساد المنزل متناسيا أنهم أطفال، ولا يعرفون كيف يرتبونه، ولكنهم اختبئوا منه تحت التخت ولم يستطع العثور عليهم.

بينما حاول إصلاح ما وجده في طريقه وهو يسب ويلعن ويتوعد كل من بالبيت.

اتصل الأولاد بأمهم، وقصوا عليها كل ما حدث بصوت خافت من موقعهم تحت التخت، فوعدتهم بإرسال جدهم ليستحضرهم إليها.

وبعد ساعة كان حكم أمام باب الشقة يضغط على الجرس، ثم فتح له جعفر وهو أشعث وثيابه قذرة وفي يده مكنسة، فقال له تفضل يا أستاذ حكم كيف حال ميار ومتى ستعود.

_ هي مازالت مريضة سآخذ الأولاد معي، ربما لا تقدر على العناية بهم وسيعودون إليك بأسرع ما يمكن.

فابتسم ابتسامة صفراء قائلا:

_ طبعا هم أولادكم وتحت أمركم، ثم نادى على الأولاد ليخرجوا من تحت التخت وملابسهم مليئة بالتراب وشعرهم كذلك وحالتهم مزرية.

صحبهم إلى والدتهم التي شهقت حين رأتهم وقالت ما هذا؟

فقال لها والدها أرأيتِ حال أولادك بدونك؟ فنظرت بغضب ثم أدخلتهم الحمام لكي يستحموا ثم يتناولون الطعام وينام.

فكرت ميار في حال أولادها وحزنت لأجلهم. وفى الصباح طلب الأولاد مصروفهم من جدهم قبل أن يذهبوا إلى المدرسة، فسمعته ميار وهي في المطبخ تعد الشطائر وهو يقول لهم:

_لا يوجد معي جنيهات الآن، اذهبوا اليوم بلا مصروف، وغدا خذوا من والدكم حين ترجعوا بيتكم.

شعر الأولاد بالخزي والحزن، ثم رفضوا تناول إفطار أو أخذ الطعام معهم قبل ذهابهم إلى المدرسة.

أثر موقف أبيها على حالتها النفسية، وشعرت بالاغتراب وعدم أحقيتها في طلب أي نفقات على الأولاد منه، فكتمت حزنها في قلبها ولم تنبث ببنت شفة.

كان جعفر قد استغرق طوال الليل في تنظيف المنزل وإعداد بعض الطعام المكون من الجبن والخبز والطماطم ولم يزد على ذلك.

في الصباح شعر بافتقاد زوجته وصوت الأولاد الذي ما إن اختفى من المنزل إلا وقد تحول إلى صحراء جدباء.

عزم على المرور على ميار والأولاد واستعادتهم في المساء، فذهب عمله وبعد انتهائه أحضر بعض الفاكهة والخضروات والخبز واللحم وعاد إلى المنزل ليضعهم في الثلاجة بالمطبخ، ثم يذهب إلى زوجته.

وما إن وضع المفتاح في الباب ودخل المنزل حتى سمع أحلى صوت سمعه في حياته وهو صوت الصغير وهو يبكي وينادي بابا حبيبي أين أنت، انهمرت دموعه، وجرى صوب الصوت وحمل ابنه بين ذراعيه ثم لف به في الحجرة وهو يقول حبيبي. بابا جاء ولن يتركك ثانية. خرجت ميار من حجرتها باسمة وقالت له: هيا لنتناول الغذاء معا فالأولاد في انتظارك.

فقال لها: حمداً لله على سلامتك، لا أسكت الله لك حسا.

عرف كل منهما قيمة الآخر وقيمة حياته الأسرية التي لا غنى له عنها.

****

13- يومٌ فاصل

وضعت ليلى يديها فوق عينيها لتداري منظر بشِع بدا لها أثناء استقلالها سيارة والدها في طريقها إلى الجامعة، فقد كانت جثة قطة ملقاة بعرض الطريق والسيارات تدوس فوقها بسرعة دون أن تلفت نظر أحد، تأملت المشهد وخامرها الشك أنها مثل هذه القطة الملقاة على قارعة الطريق، والكل يدوسها أو يتخطاها دون أن يهتز له جَفن.

دخلت ليلى من باب المدرج الخلفي وهي تتوارى خجلا، فقد تأخرت عشر دقائق رغم حرصها الشديد على الحضور مبكرا في أول يوم لها بالكلية، اعتذرت وهي مطأطِأة الرأس، فأومأ لها المحاضر بالدخول، بينما نظر الجميع إليها بانتباه مما أثار حفيظتها، وسبب لها الخجل، واحمرار الوجه. كانت مشدودة الأعصاب، تُواري ضِيقَها من كل شيء، عادت إلى مُخيلتها صورة والدها وهو يقنعها بدخول كلية الآثار، وهي ترفض باستماتة، ولكن والدها يُصِر، فترضخ في النهاية لرأيه صاغرة.

شردت قليلا خلال المحاضرة، فلم تستمع إلى المُحَاضِر أثناء وصفه لعظمة الحضارة المصرية القديمة وكان كذلك يقدِّم إلى دراسة هذا العام التي ستتناول بالتفصيل كل شيء عن الحضارة الفرعونية، فلاحظ أنها تبدو في عالم آخر فسألها:

_ هل تستطيعين الحديث الآن عن سر عظمة الحضارة الفرعونية بعد كل ما شرحته لكم؟

تلعثمت قليلا ثم قالت: آسفة لم أسمع ما قلتَ
فأشار لها أن تجلس، ولم يرِد إحراجها لكنها كانت قد أُحرَجت بالفعل.
انتهت المحاضرة بينما بكت ليلى بشدة بعد خروج الجميع من المدرج.
لاحظ أحد الأساتذة بالكلية وجودها وحيدة بالمدرج وبكاءها أثناء مروره أمام المدرج، فدلف إليها وسألها ما بكِ يا ابنتي، هل أصابكِ مكروه؟
كانت تبكي بحرقة فأجابته بين دموعها: أصابني أكبر مكروه.
فابتسم قائلا: مازلتِ صغيرة، وهذا أول يوم لكِ في الكلية ماذا دهاكِ؟
_ دخلتُ كلية لا أريدها، وسأدرس التاريخ ولا أُطِيقُه، وافترقتُ عن أصدقائي وصرتُ وحيدة لا أعرف أحدا.
وقد أحرجني المحاضر بسبب شرودي في المحاضرة اليوم، فهل كل ذلك لا يُعد مكروها؟
_ لا تحزني، الكلية رائعة ستحبينها مع الوقت، وتتعودين على دراستها فالكثيرون كانوا مثلك وتأقلموا عليها، بل وتفوقوا أيضا، وأما عن الأصدقاء، فإنهم موجودون كما هم، ويمكنك رؤيتهم في غير أوقات الدراسة، وستكتسبين صداقات جديدة، أعمق وأجمل، وحين تكبرين

ستتذكرين مرحلة الجامعة بكثير من الحنين لأنكِ ستسعدين فيها. هيا فلتغسلي وجهك وتعودين إلى البيت وتنسين كل الأفكار السيئة الآن.

نهضت ليلى وعادت إلى منزلها وهي تتذكر كل ما قاله أستاذ الجامعة لها.

ثم بدأت شيئا فشيئا في الاهتمام بدراستها، والمذاكرة، وتقبُل صديقاتها الجدد، ولكنها لم تنسَ لأبيها إرغامها على الالتحاق بهذه الكلية دون إرادتها.

مرت الأيام وجاء يوم التخرج، وكانت سعادة ليلى غامرة لأنها أنهت مرحلة الدراسة بتفوُق، وتستعد للعمل الآن.

ساعدها والدها في إيجاد عمل مناسب، ولكن طموحها كان أكبر، فظلت تفحص إعلانات الجرائد، حتى عثرت على مسابقة للعمل في المتحف المصري، ولكن ينبغي عليها أن تجتاز الاختبار أولا. فاستعدت بكثير من الاطلاع للتعرف على شروط النجاح في مثل هذه الاختبارات حيث بحثت على محرك البحث جووجل وفهمت الكثير من قواعد النجاح.

وفى اليوم التالي مثُلت أمام لجنة الاختبار لتُفاجأ بنفس الأستاذ الذي نصحها وأزاح عنها جبالا من اليأس في أول يوم دراسة لها في الكلية. فتذكرها في الحال، وابتسم لها وسألها قائلا:

_ما رأيك في الكلية بعد التخرج؟

_اعتدتُ عليها وألفت صديقاتي فيها، وأصبحَت أجمل أيام عمري هي ما قضيته فيها.

_ عظيم جدا. أرى أمامي فتاة أخرى غير التي قابلت أول مرة.

_ الفضل لك أستاذي. ولدي طموح في الحصول على الوظيفة.

انصرفت ليلى وهي تشعر بالسعادة وبالفعل تم قبولها للعمل بالمتحف المصري

أتقنت وظيفتها واجتهدت في الحصول على الدراسات العليا في التاريخ الفرعوني، مما دعَّم عملها، فتقدمت وارتقت عدة مناصب، وصارت امرأة ناجحة. وذات يوم سألها والدها:

أتظنين أن اختيارك كان سيكون أفضل مما أنتِ فيه الآن؟

_ لا يا أبي. لقد اخترتَ أنتَ لي. وكان الخير في اختيارك، ولكن نظرتي للأمور في حينها هي التي كانت قاصرة، وكان الله يُعد لي ما أتمنى وأستحق دون أن أدري.

****

14- ضوء القمر

استرسلت نغمات الموسيقى عذبة، لامست شغاف قلبها برفق تمنت لو استمرت السوناتا إلى الأبد، ابتسمت حين تذكرت ماريو حين قال لها: أحبك كما أحب سوناتا ضوء القمر لبيتهوفن.

داعبت أنسام الياسمين بعطرها اللطيف أنفاسها، فتركت وقعا محببا يسري بين جنبات روحها.

جاءها صوت والدتها العطوف من داخل غرفتها وهي تدعوها لتناول العشاء معها استفاقت من أفكارها الحالمة، فردت عليها:

- حالا يا حبيبتي

تناولتا العشاء بين أضواء الشموع الوردية

سألتها والدتها:

متى تنوون الزواج؟

_ هو يريد الزواج سريعا ولكن يا أمي مازلتُ قلقة، لا أتخيل حياتي بدونكِ

_يا بنيتي، ستنسينني حين تدخلين مملكتك.

_ محال يا أمي.

مرت الأيام وبدأت الحرب تتطور وتزحف قوات الحلفاء إلى اليابان وترك ماريو لندن متجها نحو المصير المحتوم مع الجيش، كانت لحظات الوداع مؤلمة، شعرت برجيت أنها تودع روحها بفراق خطيبها، كانت الدموع تبلل وجنتيها. أعطاها ماريو أحد المحارم من جيب سترته، جففت دموعها، ثم قالت له:

سيبقى منديلك معي، أتذكرك كلما قربته من أنفاسي. كان ماريو يداري دموعه، ويذكرها بالمنزل الجميل الذي أعداه للزواج، وبأن الأيام ستمر، وسوف يعود إليها.

مضى ماريو سريعا كالحلم، وظلت هي غارقة في بحر من الآلام، كلما أفاقت من نومها تبكي.

وما إن علمت والدتها بأنها احتفظت بمنديل ماريو، لم تستبشر خيرا وانقبض قلبها، فقد تذكرت المثل القائل (هدية المنديل فراق) ولكنها لم تشأ أن تذكر ذلك أمام برجيت. فهي تدرك كم تتعلق ابنتها به.

مرت الشهور والرسائل تتعثر في الطريق وإن وصلت تصل بصعوبة بالغة، وبرجيت لا تملك سوى الدعاء والصلاة من أجل ماريو.

شارفت الحرب على الانتهاء وتواترت الأنباء عن عمل أمريكي خطير، ففاجأت أمريكا العالم بإلقاء القنبلة النووية على مدينتي هيروشيما ونجزاكي

ثم انتهت الحرب بفوز الحلفاء.

وتوالت رحلات عودة الجنود. بينما انقطعت أخبار ماريو.
كانت برجيت تذهب إلى الميناء كل يوم لتراقب السفن المحملة بالجنود ولكن بلا فائدة. لم يرجع ماريو على الإطلاق.
لم يساورها الشك في أنه مازال على قيد الحياة. صدقت حدسها، وتخلى عنها القدر.
كانت تذبل كل يوم، ووالدتها لا تعرف كيف تقنعها أن تتخطى حزنها لتعيش.

سقطت الطائرة التي تقل ماريو وأربعة من زملائه في إحدى الغابات في ضواحي اليابان بعد قصف اليابان لميناء بيرل هاربر الأمريكي وردت أمريكا ردها القاسي بانضمامها لدول الحلفاء وقصف اليابان بالقنبلة النووية.
سقطت الطائرة بين الأشجار وأفاق ماريو وزملائه على القيود الحديدية التي كانت تكبل أيديهم وأرجلهم. بدأ الجنود اليابانيون بمراوغتهم وتعذيبهم بأحط الأساليب، حتى تمنوا الموت، وشيئا فشيئا تم قتلهم واحد تلو الآخر، لكن ماريو استطاع الهرب، فاقدا لذاكرته بسبب التعذيب. كل ما كان يتذكره أنه إنجليزي الجنسية ويحاول العودة إلى موطنه.
أنقذته إحدى الطائرات المحلقة في طريقها لمغادرة اليابان. ولكنه وصل إلى جلاسجو واستقر بها لا يتذكر شيئا من الماضي.

مرت الأيام والشهور وبدأت برجيت في التغير وتقبل ما حدث، وما لبثت أن عملت في إحدى الشركات، وتم زواجها من أحد زملاءها. وفى إحدى رحلاتهما معا وأثناء التجول بأحد المحال التجارية رأت ماريو، فجأة. استعادت شريط حياتها السابق، وتلعثمت واضطربت، ولكن لم تستطع أن تحول بصرها عنه، بينما هو لم يعلم من هي ولم يتذكر شيئا مما مضى.

اقتربت منه وأخرجت منديله من حقيبة يدها ثم ناولته إياه دون كلام.

لم يفهم ماريو ما تقصد وإنما تناول المنديل وقربه من أنفه، فشم رائحة يعرفها جيدا لكن لا يتذكر شيئا عنها.

عاش ماريو في شقته المتواضعة وحيدا، وفكر في زيارة طبيب نفسي لاستشارته في عودة ذاكرته، وعن سؤاله المحير لعقله لما قابل برجيت ولم يعرفها، حينها قرر الذهاب للطبيب.

قال له الطبيب: صف لي ما تشعر به أو تشكو منه

_ لا أتذكر سوى اسمي ودولتي وكل ما عدى ذلك قد تبخر من رأسي

_ كيف عدت من الحرب؟

_ طائرة أقلتني بالمصادفة ولولاها لفقدت حياتي مثل زملائي.

سأعطيك عقار يسبب الاسترخاء لنحاول أن نتذكر سويا آخر ما مررت به

وبالفعل بعد الحقنة، سأله الطبيب عما يدور في عقله فقال:

_ أرى أشجار ورجال متشابهين يضحكون بتشفي

_ أتظنهم من جيش اليابان أم زملاءك؟

_ ليسوا زملائي، يرتدون ملابس حربية لا تشابه ملابسنا، يكرهونني لا أدري لمَ

_هل تتذكر ما حدث بعد ذلك؟

_ لا ولكن أرنولد كان يختبئ خلفي كان يرتعد حتى أنه تبول في سرواله

_ وماذا فعلت أنت؟

_ حملتُ سلاحي ولم أفرط فيه، دافعتُ عنهم ولكن الجنود أمطرونا بالرصاص، وكان وابلا أغرقنا جميعا بلا رحمة

_ أكمل ثم ماذا حدث؟

_ أشعر بصداع شديد.

_ فلنكمل غدا.

انصرف ماريو وهو متعب على وعد بلقاء الطبيب بعد يومين.

عاشت برجيت في حالة من الذهول، غير مصدقة أن ماريو مازال على قيد الحياة، لاحظ تيودور تغيرها، وسألها عما أصابها، فتعللت له بأنها مريضة بينما كانت تشرد طويلا، فتستعيد كلمات ماريو، ووعوده بألا ينساها مهما حدث.

في الجلسة التالية للعلاج، أعد الطبيب نفس العقار المهدئ وبدأ ماريو يتذكر بصعوبة ما حدث:

- كانت الأشجار وارفة الظلال، وكنتُ أختبئ خلف إحداها، وظللتُ كذلك ساعات طويلة، حتى حل الليل، سمعتُ صوتا مرعبا، يشبه زئير حيوان ضخم، فازددت وجلا، وحاولتُ الهرب، كان كل شيء يثير الريبة، خطوات ثقيلة تدب من بعيد، وأصوات طلقات نارية، وصفير الرياح تزمجر معلنة عن ليلة شديدة البرودة، تبينتُ خيطا من الضوء يبدو من ناحية الشرق، فانطلقت في اتجاهه، ولم ألحظ وجود أحد الجنود الأسيان خلف العمود الذي يحمل هذا القنديل، وماهي إلا لحظات، وكنتُ قد سقطتُ أسيرا وفقدتُ النطق على أثر الصدمة.

- في اليوم التالي بدأوا في تعنيفي وضربي بكعوب بنادقهم، حتى أتكلم. لا يفهمون أنني لا أستطع الكلام.

أدخلوني على آلة للتعذيب مؤلمة حقا، كانت الدماء تتساقط من جلدي وأنا أصرخ، ولا يتوقفون.

مرت أيامٍ وليالٍ وأنا أتعذب، ولا أمل لدي في النجاة. سمعتُ أحدهم يقول بلكنة إنجليزية رديئة. فلنعمل له غسيل مخ، حتى يفعل ما نريد.

لا أتذكر ما حدث بعد ذلك. ولكني نسيت اسمي، وعملي ومكاني وكل من أعرفهم، عثرتُ على طائرة تحلق في سماء الغابة التي تم إلقائي فيها، وقد أقلتني حتى عدتُ لموطني، لكنني للأسف لا أتذكر من أنا.

انتهت الجلسة، وقد أفرغ ماريو ما كان يجثم على عقله من ذكريات مؤلمة.

صرف له الطبيب عدة عقاقير وطلب منه المواظبة عليها، ثم نصحه أن يدع الماضي خلفه، ويبدأ من جديد.

قررت برجيت أن تذهب لنفس المقهى الذي كانت تقابل ماريو فيه سابقا، وإن كانت تشعر بأنه قد فقد الذاكرة. كان هناك بصيص من أمل يداعب قلبها، تتمنى لو رأته واطمأنت على حاله فقط، ثم تختفي. ولكن هيهات، استمعت إلى سوناتا ضوء القمر في الخلفية من المقهى، حل طيف تيودور في مخيلتها وكان يقبل يدها، أدركت أن الحقيقة أقوى من الخيال، هنا تأكدت أنها لا تريد العودة إلى ماريو، فقد فقدت أثره للأبد.

****

15- الوهم الجميل

لم تكن هيام تعلم أنها ليس أمامها سوى ساعة واحدة على موعد يوسف فتعجلت في إنهاء المقال الصحفي الذي تصُغهُ وتجمع مادته الصحفية من عدة كتب ومواقع إليكترونية حتى أنهت معظمه، ثم هبت واقفة وطوت أوراقها، وأعادت مكتبها منظماً

كما تحب أن تراه دائماً، انصرفت عائدة إلى منزلها بهِمَّة ونشاط وهي تشعر أنها خفيفة وتكاد تطير من على الأرض، ولِمَ لا فهي تنتظر موعدها مع يوسف بفارغ الصبر منذ أن حدداه سويا قبل ثلاثة أيام من اليوم.

تناولت مشروبا ساخنا بسرعة ،وبدلت ملابسها فلبست ثوباً تحبه جدا يحمل لونا من ألوان الشتاء الداكنة ، تلك التي تحمل الدفء الذى يبدو للناظر فور وقوع بصره عليه، وتجنبت الحديث مع والدتها حيث أنها ستسألها ما يزيد عن ألف سؤال كلها تدور حول معنى واحد فقط وهو لماذا ستخرجين الآن فور عودتك من العمل ؟وكيف لا تتناولين غداءك معي ولا سيما والجو ينذر بشتاء وشيك فالسحب تراكمت في الأفق القريب وزخات المطر بدأت بالفعل في الهطول، ولكن لا شيء يمكن أن يقنع هيام بالاعتذار اليوم عن موعدها ، فهو ثاني موعد مع يوسف وهى لم تعرف عنه الكثير ففي رأسها تتدافع الأسئلة عنه ، ولن تستطع النوم إلا إذا

فهِمت سرَ انشغالها به منذ أن رأته أول مرة في المقهى القريب من المجلة التي تعمل بها صحفية. كانت ترتدى قفازاتها وتنزل مسرعة على الدَرج إلى الشارع _تسير بخطى حثيثة نحو الكافيتريا التي ينتظرها فيها يوسف ،برغم أن ملابسها ابتلت بعض الشيء إلا إنها لم تكن مشغولة بمظهرها قدر انشغالها باللقاء الذى سيبدأ بعد قليل، تدافعت الأفكار والكلمات بداخل رأسها وما إن دلفت إلى داخل الكافيتريا حتى التفتت إلى اليمين فرأت يوسف على الطاولة التي اتفقا عليها ، يحتسى فنجانا من القهوة ،فشعرت بجفاف حلقها وبأنها نسيت كل ما رتبت من كلمات ،ثم ألقت عليه التحية بصوت منخفض رخيم فرد عليها بابتسامة عذبة وقال لها: تفضلي بالجلوس.

فسألته من أنت بالله عليك؟ كيف قابلتك وكيف تأبي أن تترك مخيلتي منذ رأيتك؟ وماذا تريد منى؟

فرد عليها وعلى وجهه ترتسم علامات الجدية والاتزان:

أنا دكتور يوسف أحمد كمال. طبيب أخصائي في أمراض القلب بمستشفى القصر العيني. رأيتك مضطربة ووجهك أصفر المرة الماضية حين كنا في الكافيتريا ولم أكن أعرفك آنذاك واعتقدتُ أنكِ بحاجة إلى مساعدة طبية، فتحدثت معك كما تذكرين.

فقالت له: لم أكن بحاجة إلى معرفة أي شيء عنكَ المرة الماضية، فأنا كنتُ مًصابة بالذهول بسبب موقف أثار غضبي من رئيس تحرير المجلة التي أعمل بها حيث وضع اسمه على مقالتي بصفته هو من كتبها فأثار حُنقي.

ولكنِّي بعد عودتي للمنزل تذكرتُ أنك أعطيتني رقم هاتفك لأتصل بك إذا احتجتُ للمساعدة.

فقال لها: وها نحن تقابلنا ثانية فهل تشعرين بحاجة إلى استشارة طبية.؟

فقالت له بعد أن ازدردت ريقها: نعم نعم قلبي يدق وأشعر برعشة في يدي وتعرُق شديد منذ رأيتُك ولا أدرى لمَ ذلك.

فقال لها:

أتصدقيني لو قلتُ لكِ إني أيضا أعاني من نفس الأعراض. ولكن لا عليكِ.

ولكن هل ضايقكِ نخبٌ ما مثل المرة الماضية؟

فقالت: لا ولكنى أشعر بالراحة الآن هل قرأت لي شيئا في المجلة من قبل؟

فأجابها: نعم، وأحببتُ أسلوبك وتفكيرك جدا، فأنتِ مُفعمة بالحكمة والفهم العميق للأمور، وتحليلك النفسي مُقارب جدا للتحليل العلمي الصحيح فضلا عن رِقة كلماتك.

فنظرَتَ إليه بخجل وقالت: هذا كثير عليَّ أشكرَك.

فقال لها: لا داعي أبدا للخجل _أنا لا أُجاملك، فأنا رأيت فيكِ روحا لم أرها من قبل تبدو من نظرة عينيكِ.. روحا شفافة تعشق الصدق والصراحة ولا تعرف المداراة أو مواراة الحقيقة.

فقالت له: فعلا كيف عرفتَ كل ذلك عني؟ أنا صريحة ولا أخشى في الحق لومة لائم. أشعر أنك تقرؤني فعلا وكأنك تعرفني منذ زمن بعيد. أتعرفُ شيئا؟ أنا لم أقابل في حياتي من يفهمني بهذه السرعة ، ولا من يرى روحي بهذه السهولة ويقرأ أفكاري.

فابتسم يوسف قائلا: ليست صدفة يا هيام هو موعد رتبه لنا القدر لنلتقي، وكأننا متعارفان منذ وقت بعيد دون لقاء. ربما تلاقت أرواحنا في عالم آخر.

فقالت له: صدقتَ.

ثم قالت له: سأمضي فأنا قد تأخرت

فعاجلها بسؤاله: هل سنلتقي ثانية؟

فقالت له: ربما. لا أدرى ولكن ما أعرَفهُ جيدا أننا تقابلنا في الوقت المناسب.

انصرفت هيام وهي تشعر بالراحة والسعادة ولا تعرف كيف تُخفى ابتسامتها للحياة كلها، فهي اليوم فتاة أخرى.

سألتها والدتها لم تأخرتِ؟ فأجابتها: كان طريقاً طويلا على أن أمشيه حتى أصل إلى نفسي.

وفى الأسبوع التالي كانت ذاهبة إلى المكتبة للبحث عن أحد الكتب في علم النفس ففوجئت بيوسف يجلس للقراءة. فتغير لونها، وابتسمت أساريرها، ورحبت به، فطلب منها موعدا ليقابلها، ويحدثها لآخر مرة قبل أن يتقدم

لخطبتها فأعطته موعدا في اليوم التالي في نفس الكافيتريا التي تقابلا فيها من قبل.

وعندما التقيا أخبرها يوسف بأنه للأسف متزوج ويريد أن يتزوجها برغم ذلك، لأنه وقع في حبها دون أنْ يعرف كيف.

فتغيرت ملامحها وشعرت بالصدمة وأُسقِطَ في يدها، ولم تنبَّث ببَنت شَفة.

ثم غادرت المكان وعادت إلى منزلها.

لم تخبر والدتها بأي شيء ولكن أمها ألحت عليها بالسؤال الثقيل عليها جدا: ما بك يا بنيتي؟

فقالت لها بهدوء أريد أن أسافر إلى الإسكندرية غدا لتغطية مؤتمر صحفي للمحافظ هناك.

فوافقت الأم راجية أن تنفرج أسارير ابنتها ولكن بلا فائدة.

وفى اليوم التالي جلست في القطار وحيدة تحتسي الشاي الساخن، وتفكر فيما حدث وكيف سقطت فريسة لذلك الرجل ، وتشبثت بشعورها الأول نحوه قبل أن تعرف شيئا عنه ،وكيف أنه قرأ ما كان مكتوبا في خيالها فلمس وتراً حساسا في قلبها عندما امتدح كتاباتها وهي مازالت في بداية طريقها الصحفي. وكيف شعرت بالسعادة عندما عاشت في الوهم. رُبما هو أحبها فعلا ولكن طريقهما مختلف فليست هي من تبنى سعادتها على أنقاض امرأة أخرى.. فكان لابد لها أن تسافر لتمضي في طريقها قبل أن تتعثر.

16- بعد فوات الأوان

بين حمزة ووردة قصة حب طويلة، يعلمها أهل حي الحسينية القاهري العريق ، ذلك الحى الشعبي الذى يتناقل سكانه أخبارهم بينهم وبين بعضهم البعض، فالجميع متعارفون فيما بينهم ، ولما كانوا يرون وردة وهى خارجة من المدرسة الثانوية التجارية تسير مع حمزة ويتجاذبان أطراف الحديث، فعرفوا وقتها أنهما متحابان، ولا سيما طريقة مشيتهما البطيئة التي تحمل معانى السعادة، وعدم الرغبة فى الوصول إلى المنزل، وكانت وردة وجنتاها تتوردان، وتتصبب عرقا متى رأت حمزة واقفا أمام دكان والده عم علىَّ الوزان، الذى يبيع كل أنواع الخردوات ، وكان يظهر على حمزة أيضا أنه منتبه إليها ويتصبب عرقا وعينيه لا تفارقانها حتى تختفى من الشارع.

وكان والده كثيرا ما يحذره من مغبَّة التعلق بهذه الفتاة، فأبيها حسين القِناوي عامل بسيط في أحد المصانع المنتجة للبلاستيك، وله خمسة أبناء أجره لا يكفيهم إلا بصعوبة، ولا يبدو له أنه سيستطيع تجهيزها من أجل الزواج. وكان حمزة الشاب العاطفي الرزين لا يستطيع أن يكُف عن متابعة وردة بعيونه، ولا أن يفكر فيها وقت جلوسه وحيدا، فكأنه لا يستمع إلى ما قاله والده فيستمر في ملا حقتها دائما، خاصة بعد أن رأى منها استجابة

مبشِّرة وهما يتحدثان، حيث كانت عيونها تنطق بما تُكن في قلبها له، وابتسامتها تشير إلى أنها تفهم حمزة وتشعر به.

وعندما تخرَّج حمزة من كلية الآداب، سارع بمفاتحة والده فى شأن خطبة وردة قبل أن يسبقه أحد الشباب إليها، وإلا كان سيُصاب وقتها بصدمة عمره كما قال لوالده.

وأمام رغبة حمزة المستميتة لم يستطع والده إثنائه عن رغبته، فرضخ للأمر على مضض، وصحب زوجته عايدة وحمزة ابنه وزاروا حسين القناوي لطلب يد ابنته وردة لحمزة.

رحب حسين بالنسب، وزغردت زوجته، وقالت لهم نحن نجهزها ونوصلها حتى باب منزلكم- على سبيل المجاملة - فقالت لها عايدة قدْر القُول يا حبيبتي، ثم تم الاتفاق على التفاصيل بما فيها المهر والشبكة والجهاز،

وقال على الوزان: سوف أعطى إبني شقة في منزلي في الدور الثالث ليتزوج فيها. ثم قرأوا الفاتحة وسط سعادة حمزة ووردة.

وتمت الخطبة في حفل صغير في منزل العروسة وبعد تأثيث منزل الزوجية تم الزفاف في حفل كبير أغلق الشارع الذي يقطن فيه حمزة واستمر حتى ساعات الصباح الأولى. وتبادل الأهل والأصدقاء والجيران عبارات التهنئة، والأمنيات بالسعادة.

وعاش الزوجان في بداية حياتهما في سعادة وهناء وأنجبا ثلاثة أولاد عمرو وإيهاب وممدوح

وكان حمزة يعمل مع والده في محله نظرا لعدم وجود وظائف حكومية، ولكن دوام الحال من المحال. ما لبثت تجارته في محل الخردوات الذي كان في الماضي مزدحم بالزبائن أن كسدت وبدأت الخسائر تتوالى على حمزة ووالده. وأصبحت الظروف المعيشية صعبة على الأسرتين فغير علىَّ عمله، واشتري تُكتُك وبدأ يوصل الزبائن ليكسب أي أموال تعينه وتعين ابنه.

وبقي حمزة في المحل يبيع البضائع بصعوبة ولا يستطيع شراء غيرها لأنه ينفق أثمانها على البيت والأولاد، وأصبح ضِيق ذات اليد يصيبه بالغضب لأتفه الأسباب، وبدأت الخلافات تدب بينه وبين وردة وشيئا فشيئا تبخر الحب الذي كان ملء السمع والبصر،

وبدأت وردة تغضب في منزل والدها، وتترك لحمزة الأولاد، فكان يرسلهم لوالدته في الطابق السفلى لكي ترعاهم.

وكانت عايدة صحَّتها متعبة، ويصعب عليها الاعتناء بالثلاثة أولاد، فكانت تؤنب حمزة لأنه تزوجها، وجرى وراء أهوائه، ولم يستمع إلى نصيحة والده، وقد أثبت الزمن صحة رأيه وبدأت وردة تتبرم من نقص الأموال ولا تتحمل مع زوجها ظروفه الصعبة، فهي ليست بنت أصول، وطبعا كلام عايدة والدته كان يضايق حمزة ويصيبه بالنكد والضيق، وبعد عدة أيام يمل من الوحدة ويذهب إلى منزل حماه ليصالح وردة ويستعيدها لأولادها.

ولكن كلما مر حمزة بضيق ذات اليد تتركه وردة وتغادر إلى منزل أسرتها وفى آخر مرة طلبت الطلاق وبسبب إلحاحها نفذ لها حمزة طلبها وطبعا لم

تصطحب أولادها وتركتهم لأبيهم ينفق عليهم ويعتنى بهم. حتى لم تسأل عنهم، والأدهى أنها رفعت قضية نفقة للأولاد في محكمة الأسرة وفى خلال شهر واحد تم الحُكم فيها لصالها بمبلغ خمسة آلاف جنيه نفقة سنة وهي مدة الطلاق، ولكن حمزة لم يكن يمتلك المبلغ والأولاد يعيشون معه بالفعل فاتجه إلى قسم الشرطة لعمل استشكال في الحكم وتفاجأ بالقبض عليه وحبسه على ذمة القضية لمدة شهرين حتى يسدد المبلغ. أصيب حمزة بالذهول وكذلك والده كيف لامرأة أن تسجن والد أبنائها؟ ألم تتناول معه وجبة طعام من قبل؟ ألم تعيش معه من قبل، ألم يكن بينهما محبة في يوم من الأيام. وكَّل والده محامي مختص بقضايا الأسرة

وبعد مرور الشهرين وبطلب من المحامي تم استدعاء الأولاد أمام وكيل النيابة الذي سألهم مع مَن تعيشون؟

فقالوا: نعيش مع أبينا ولم تحاول والدتنا أن تضمنا لها.

فأصدر وكيل النيابة أمرا بإسقاط النفقة عن حمزة في الحال.

عاش حمزة في صدمة كبيرة بعد تغُير زوجته، وعشقها للمال ونسيانها كل مشاعر الحب التي كانت بينهما ونسيانها للعشرة بكل سهولة بل ونسيانها أولادها أيضا.

وأقسم من وقتها ألا يثق في أي امرأة وأن ينجح في حياته ويبدأ من جديد من أجل أبنائه وقد كان.

قدم حمزة على وظيفة مدرس بالحصة في إحدى المدارس الإعدادية وبدأ يدرِّس المادة التي تخصص فيها وهي اللغة العربية، كما حصل على شُهرة بسبب مراعاة ضميره في عمله، وبدأ الطلبة يتهافتون عليه لإعطائهم الدروس الخصوصية في مادته، فوافق على ذلك

وأدر عليه هذا العمل رزقا كبيرا كما يهتم بالتدريس لأبنائه ليصبحوا من المتفوقين دراسيا. وهكذا بدأ حمزة انتقامه الإيجابي من زوجته السابقة التي اغتاظت كلما سمعت عنه خيرا. والأحقاد أكلت كبدها.

أما هو فبدأ يجنى الأموال وتتحسن حالته بسبب الدروس والعمل ولم يفكر سوى في أولاده وكيف يوفر لهم مستوى معيشي كريم يليق بهم ليرتقوا في مراحل تعليمهم، ويحصلوا على أعلى الدرجات.

ووردة أصبحت وحيدة تعض بنان الندم بعد فوات الأوان، ولم يقبل أحد الزواج بها.

فقد عرف الجميع عنها قلة الأصل وأنها تمردت على زوجها ولم تصبر عليه في ضائقته. فهي إذا لا تستحق أن تحيا حياة أسرية سعيدة. ولا تؤتمن على زوج وأبناء.

****

17- ثمن الأمان

قرأت هدير خبرا في الجريدة عن مسابقة للعمل في مستشفى غير حكومية في احدى الدول العربية، فابتهجت واستبشرت، لأنها طبيبة ممتازة بشهادة كل من عملت معهم سابقا، على الفور أعدت أوراقها، وأرسلتها إلى العنوان المُدرج في الإعلان، وانتظرت المهلة المحددة لإعلان نتائج المسابقة على أحر من الجمر، وجاء اليوم المنتظر، ووقع عليها الاختيار ممن سيسافرون ، فشعرت بالامتنان، والرهبة التي لم تكن تشعر بها من قبل، فهي مسؤولية كبيرة تتمنى أن تكون أهلا لها، رحب والدها بخبر فوزها، بينما قلقت والدتها، فهي كانت تصبو إلى أن ترى ابنتها متزوجة وتعيش حياة أسرية هانئة في مصر، ولا تفصلها عنها آلاف الكيلومترات، ولكن الفتاة أقنعت والدتها أنها ليست الطبيبة الوحيدة التي ستسافر ، ومعها أكثر من زميلة في نفس الرحلة.

فقالت لها والدتها، وهي متأثرة:

_راجعي نفسك يا ابنتي أتمنى ألا تسافرين وحدكِ، يمكنك السفر بعد الزواج أما الآن فأنا أخاف عليكِ أن يُسرَق عمرك دون أن تشعرين.

_ يا أمي لا تخشي شيئا، لقد درستُ وتعبتُ كل هذه السنوات لكي أصبح طبيبة ماهرة، مسؤولة عن أرواح البشر، كما أنني لستُ وحدي فهناك عدد

من زميلاتي معي في نفس العمل وسيكون سكننا في نفس البناية فلا تقلقي. والهاتف سيجعلنا نتحدث يوميا وكأني معكم.

إلا إن الفتاة كان لديها طموح أن تجني بعض الأموال التي تستعين بها في فتح عيادة خاصة لها بعد عودتها.

وجاء يوم الوداع، وسلمت هدير على والدتها بحرارة، وقالت لها والدموع في عينيها:

اطمئني يا أمي معي الله سوف يحميني، ادعي لي يا أمي.

فاحتضنتها والدتها وقالت لها:

انتبهي لنفسكِ، ومعكِ الله، أنتظر اتصالك لأطمئن عليكِ.

وصلت الطائرة بعد مرور ثلاث ساعات، واتجه وفد الأطباء التابع للمسابقة إلى نفس المشفى وتسلموا محل إقامتهم، فوضعوا أمتعتهم فيه.

ثم بدأوا العمل، وقد طُلب من الطبيبات العمل في قسم الأطفال والنساء والتوليد، بينما عمل الأطباء في الجراحة العامة، والعظام والأمراض الباطنية، وتم تقسيمهم إلى قسم سيعمل صباحا والآخر يعمل ليلا، وكان من حظ هدير العمل ليلا، فبدأ قلبها ينقبض، فالمكان جديد عليها، ولم يسبق لها أن عملت ليلا من قبل خلال ثلاثة أعوام.

في المساء عادت إلى المستشفى وتعرفت على الطبيبات والممرضات، وبدأت العمل بفحص الأطفال بالتوالي.

في الصباح عادت إلى مسكنها وتناولت طعامها ثم نامت، وهكذا اعتادت على نظام حياتها الجديد وفي أحد الأيام سمعت صوتا هائلا يهز أرجاء المستشفى، فانطلقت إلى الخارج مسرعة مع كل العاملين فيها، وتفاجأ الجميع بحريق هائل على بُعد مائة متر من المستشفى وأصوات استغاثة صادرة من هناك، فاستطلعوا الأمر، واتضح أن أحد مواسير الغاز التي تغذي المدينة قد انفجر في هذا المكان قد اشتعلت فيه النيران، وعلى الفور تم إرسال سيارات الإسعاف من المستشفى إلى مكان الحادث، وتم حمل المصابين إلى الطواريء وامتلأ المستشفى عن آخره بمناظر مؤلمة للمصابين ومنهم من مات، ومنهم من حالته سيئة، واشتركت هدير وزملائها معهم في إسعاف المرضى، ورأت مالم تتخيل أن تراه من حالات إنسانية حرجة، ومشاهد صعبة على النفس، وكانت خبرتها قليلة بمثل هذه الحالات، ولكنها اجتهدت في علاج المصابين مع باقي الأطباء.

وفي اليوم التالي تناولت الصحف الحادث وتم التحقيق في أسبابه، فتوصلوا إلى إنه حادث مدبر كان المقصود به إرهاب من يعيشون في البلد، فنشطت السلطات، ومشطت المكان للقبض على المتسببين في الحادث. وكانت السلطات تقوم بتفتيش الأبنية السكنية والحكومية حتى المشفى لم يسلم من التفتيش والتحقيق مع العاملين به. وبدأت هدير تشعر بالقلق مما تتعرض له.

وقالت في نفسها: ربما تتكرر هذه الحوادث الإرهابية ثانية، ما الذي أتى بي هنا، يا إلهي الهمني الصواب.

اتصلت بها أسرتها للاطمئنان عليها، بعد أن وصلت الأخبار عن الانفجار وعن مكانه.

حدثها والدها في الهاتف قائلا:

ارجعي يا بنتي لا يوجد في العالم ما يساوي الأمان. أموال العالم لن تعوضنا عنكِ، عودي يا ابنتي والدتكِ مريضة منذ سمعت الخبر.

فقالت: أنا حقا أريد أن أعود أنا خائفة ولكن يوجد شرط في العقد إنه لا يمكنني العودة قبل مرور ستة أشهر على عملي هنا.

شعر والدها بالصدمة، وهي تخبره بذلك. ثم أنهى المكالمة على عجل.

بدأ محمد سليم والد هدير يفكر كيف يخلِّص ابنته من هذه الورطة، وهو يعلم جيدا إنهم لن يصرحوا لها بالسفر قبل انقضاء مدة العقد والا سيقع عليها الشرط الجزائي، وهو دفع ما يعادل عشرة آلاف جنيه مصري، فضلا عن ثمن تذكرة السفر، فاستدعى ابن أخيه المحامي هاشم إسماعيل، وأخبره بكل ما حدث، فبدا عليه القلق، وقال له:

يا عمي لابد أن نحاول التصرف لإعادتها من هناك في أسرع وقت، فالظروف ليست مستقرة هناك وربما حدث مالا يُحمَد عقباه، أولا أريد رؤية العقد لأعرف بنوده جيدا وأحاول التفاهم مع الشركة المبرمة له، وإن لم يكن سأرفع قضية للطعن فيه.

أرسلت هدير نسخة من العقد لابن عمها، الذي اتجه مباشرة إلى الشركة وحاول التفاهم معهم، وفشلت المفاوضات، ولم يعثر على ثغرة قانونية ليرفع قضية عليهم. فأخبر عمه بما حدث.

كانت هدير تعمل قدر جهدها، وتقوم بواجبها في إسعاف المرضى وما لبثت أن سمعت بانفجار جديد حدث في منطقة أخرى قريبة من مسكنها هذه المرة، فازداد قلقها، وبدأت مع زميلاتها عمل محاولات للتفاهم مع إدارة المستشفى للاستغناء عنهم، وعودتهم إلى بلدهم ، ولكن دون جدوى حيث كان من الصعب العثور على بدائل لهم في ذلك الحين ومع الأحداث المتوالية، وازداد عدد المصابين وأصبح العمل شاق جدا، لدرجة أنها كانت تعمل ليل نهار، ولا تنام إلا الوقت اليسير في المستشفى.

واحتدت الأزمة، وزادت التفجيرات في نفس المدينة مما اضطر العديد ممن يعملون في المستشفى إلى الهرب، وحاولت هدير مع عبلة وعزة الهرب معهم ولم تستطعن حتى الحصول على أغراضهن، أخذوا فقط حقيبة أيديهم وبها بطاقات الهوية وجوازات السفر ونقود قليلة.

وظلوا يجرون مسافة طويلة داخل طريق معبد طويل، ولكنه محاط بمناطق صحراوية على الجانبين

واستمروا في الجري لمدة طويلة حتى أرهقهم التعب، فجلسوا للراحة، وانتظار أي سيارة تُقلّهم إلى أقرب منطقة للعبور البري والعودة إلى ديارهم. وبعد ساعة عثروا على سيارة قادمة من المدينة التي غادروها، فأقلتهم بعد

أن حصل قائدها على كل ما معهم من نقود، وأوصلهم إلى الحدود البرية. وهناك لم يكن أمامهم إلا ركوب الجمال والخروج بها مع البدو إلى حدود مصر، ودخولها عن طريق الصحراء. فور دخول مصر شعروا بالأمان، واتصلوا بأُسرِهم ليرسلوا من يعيدهم إليها. قبَّلوا تراب بلادهم، وعرفوا إنه لن يحميهم غيرها، وبعد عودتهم بأيام تم التفاهم مع الشركة المسؤولة عن سفرهم، حيث لم يتوفر لهم الأمان بعد السفر، مما يلغي العقد من أساسه، ثم أغلق الموضوع.

استقبلت والدة هدير ابنتها بالدموع، وحمدت الله على عودتها وذكرتها بأن الرازق واحد هنا وهناك.

****

18- رحلة إلى الحقيقة

كانت موسيقى بيتهوفن تنساب في عذوبة مساءاً فتقطع سكون غرفة المكتب العتيقة التي جمع سليمان قطع أثاثها من المزادات العالمية المختلفة على مدى عشرات السنين، وهو مستغرق في مطالعة أبحاث الطلبة التي نظمها وأحضرها معه لقراءتها على مهل.

بينما كانت حنان زوجته تتابع مسلسل حريم السلطان في شغف واضح، كان جو المنزل هادئ ولكن قطعه صوت بكاء شديد انبعث من حجرة المعيشة، فهرع سليمان إليها صائحاً _ماذا حدث؟

فأجابته حنان بصوت مرتعش وهي فزعة:

_ لقد قتل ابنه مصطفى

سليمان:

_ من قتل ابنه؟ لا أفهم شيئاً

حنان: السلطان سليم الأول

_أتتابعين هذا الهراء؟ ألم أخبركِ أنه تاريخ زائف؟ أيعقل أن يكون الخليفة العثماني المبجل الذي ضم معظم دول أوروبا إلى دولته ووسع رقعتها، ونشر الرعب من قواته الإنكشارية أن يكون كل ما يهمه في الحياة هو اقتناء القيان وفض المنازعات بين زوجاته؟

_ أتظن أنني بلهاء؟ يمكنني الحكم على ما أرى، وليس معنى أنك أستاذ التاريخ بكلية الآثار جامعة القاهرة أنك الوحيد الذي يقرر الصواب من الخطأ. فتركها وعاد إلى غرفة مكتبه ليكمل قراءة الأبحاث، فهو علم منذ تعلقها بوسائل الإلهاء المختلفة أنه لا طائل من المناقشة معها.

فجذب انتباهه ما كتبه الطالب كريم ثابت في بحثه:

بحثي عن فترة حكم دولة المماليك، وقد بحثتُ كثيراً لأجمع المعلومات عن تاريخهم، ولكن كانت المصادر قليلة وغير مؤكدة، استنتجتُ حينها أن المنتصر دائما هو فقط مَن يدون التاريخ فيسجله وفقا لأهوائه، وبما يتوافق مع ما يُظهره بمظهر الفارس الهمام الشجاع بدون أي خطيئة.

وقد تميزت تلك الفترة بالصراعات على السلطة، ونهاية كل سلطان أو والي غالبا ما كانت القتل، فكلهم بلا مبادئ يجهزون على إخوانهم ليجلسوا على سرير الحكم، والوفاء لديهم عملة نادرة حتى بين أقرب الأصدقاء، وأهم مثال على ذلك البطل سيف الدين قطز والظاهر بيبرس برغم انتصار قطز الفارس المقدام، وتخليص العالم بأسره من شرور التتار، ودحرهم حين لاقاهم في عين جالوت بشجاعة ليس لها مثيل.

أهم ما أريد الحديث عنه هو دولة المماليك الغريبة، التي تركت كمية وفيرة من المساجد والمدارس والتكيات والمشافي وكل سلطان كان حريصاً على تخليد اسمه لأطول فترة عبر الزمن.

وأنهم أهملوا الصناعة والزراعة والاقتصاد فحدثت مجاعات بمصر تصل إلى عشرين مجاعة وارتفعت الأسعار في عصرهم وحل الفقر المدقع وانتشرت الأمراض والفساد، وأخيرا تمت هزيمتهم من الدولة العثمانية، فتحولت مصر من دولة مستقلة إلى ولاية عثمانية تُورد أمهر الصناع والحرفيين إلى الآستانة، بينما رزحت مصر في غياهب الضعف والجهل والتخلف.

لم يكمل سليمان الأبحاث وظل يفكر في مصر التي تعرضت للاستعمار والأطماع من دول الشرق والغرب، ورغم ذلك صمدت ومازالت.

فجأة دق جرس الهاتف قاطعاً نقاشاً حاداً أوشك على الاحتدام بينه وبين نفسه، فتغير لون سليمان حين أجاب على المتصِل وصاح بصوتٍ مرتفع: ماذا؟ كيف لا تجدونها؟ هي مسؤوليتكم سآتي إليكم حالاً.

صرخت زوجته وعيونها تدمع: ماذا حدث؟ ابنتي. هل أصابها مكروه؟

_اهدئي لا شيء، يجب أن أسافر حالا.

_إلى أين؟ لا تتركني هكذا.

ركض مسرعا نحو باب الفيلا واستقل سيارته حتى محطة القطار عاقدا العزم على السفر إلى الأقصر حالاً، ولكنه لم يعثر على تذاكر تمكنه من السفر هذه الليلة، فاتصل بنبيل صديقه الصدوق وكان يعلم أنه لن يخذله كالعادة. وأخبره أن يلاقيه في محطة مصر في الحال وأنهما سيسافران معاً دون الخوض في التفاصيل.

وافاهُ نبيل بعد ربع ساعة، فسأله أين سنسافر؟ ولماذا؟

_ سأخبرك بكل شيء في الطريق، لولا توتري الشديد لقدتُ أنا السيارة بمفردي حتى الأقصر.

_ ماذا الأقصر؟ إذن هناك خطب عظيم هيا بنا.

انطلقت السيارة ونبيل قادها بسرعة كما طلب منه سليمان، ثم أخبره أن ابنته سافرت في رحلة مدرسية منذ يومين وقد اختفت هناك، وقد أبلغته المدرسة بذلك منذ ساعة.

_ إذن سنبحث معاً عنها ولن نعود بدونها.

ظلا صامتين عدة ساعات، ثم قطع سليمان الصمت قائلا: أخشى أن يصيبها مكروه أنا مَن شجعتُها على السفر، وكنتُ أشعر بالفخر لعشقها للآثار والتاريخ مثلي، أنا السبب

_ لا تجعل القلق يحطم رأسك، لستَ السبب في شيء سنعثر عليها إن شاء الله. هون على نفسك.

تدفقت دموع سليمان دون إرادة منه، فيروز هي ابنته الوحيدة، ومتعلق بها جدا، ولا يتخيل الحياة بدونها، فظل يفكر ماذا يصنع إن أصابها مكروه.

بعد سبع ساعات كاملة وصلا إلى الأقصر، فاتجها إلى الفندق مباشرة لملاقاة المشرفين على الرحلة، وخلال دقائق كانوا يشرحون له أنهم لم يدخروا جهدا في البحث عن فيروز، والشرطة أيضا بحثت كثيرا ولم تقصِّر.

_ أين كنتم حين اختفت؟ سألهم نبيل

_ كنا في معبد الدير البحري، وعند عودتنا لم نعثر عليها مع زميلاتها

فقال سليمان بغضب جارف:

_ هذا تهريج، ألا تُحصون عدد الطالبات قبل مغادرة مكان الزيارة؟

_ اهدأ أرجوك أنا مقدر حالتك، لقد أحصيناهم بالفعل وكانت ضمن الطالبات، ولكن يبدو أنها تخلفت عنهم لحظة صعود المركب للعودة إلى الحافلة ومنها إلى الفندق.

_ هيا يا نبيل إلى المعبد هيا.

ركضا معا نحو السيارة وعن طريق الخدمة الإلكترونية **gps** استدلا على طريق المعبد، ثم تركا السيارة، واستقلا المركب في النيل ليصلا إلى المعبد في البر الغربي، وبعد دقائق وصلا إليه، فاتجها فورا إلى حارس المعبد وكان رجلا أربعيني ذو بشرة سمراء تحمل معالم الجد والصبر والاجتهاد، فبادره سليمان بالتحية ثم وصف له ابنته وأطلعه على صورتها، وسأله متى كانت آخر مرة رآها بالضبط؟

فأجابه أنه أخبر الشرطة بكل شيء، فقد رافقتها سائحة بدت عليها معرفتها وذلك بعد انصراف وفد الرحلة.

نبيل: _ صفها لنا

_ هي امرأة في العقد الثالث من العمر طويلة وبيضاء البشرة شعرها أصفر ترتدي سروالاً أزرق وقميصا أبيض

فأعطاه سليمان رقم هاتفه ليخبره إذا عثر على السائحة أو علم أي معلومة عنها

هم بالانصراف فناداهُ جعفر حارس المعبد وقال:

_ أرجو أن تعثر عليها سريعا لأن هناك أطفالا اختفت من قبل في هذه المنطقة وتبين أنه تم استخدامهم كقرابين لفتح المقابر الفرعونية.

هنا ارتعب سليمان، وانصرف سريعاً متجها نحو قسم الشرطة بصحبة نبيل.

سأل سليمان الضابط هل عثرتم على ابنتي؟ هل تبحثون بجدية؟

_ فأجابه إنهم أوشكوا على العثور على البنت، وستخرج قوة من الشرطة حالاً لمداهمة أحد اللصوص المشتبه في تورطهم في اختطافها.

فأصرا على الذهاب معهم

ولكن رفض الضابط، وقال إنها معلومات على جانب من السرية، ويخشى أن يعرف الجناة بانكشاف أمرهم فيأخذوا حذرهم.

فتركهم سليمان يذهبون، ثم أخبر نبيل أن أعصابه لا تتحمل الانتظار، واتجها معا إلى سيارة سليمان التي سارت خلف سيارات الأمن لتصل إلى موقع المشتبه بهم.

داهمت الشرطة المكان فلم تعثر على أحد، ولكن بعد دقائق، رأوا قط كبير أسود اللون يخرج من فتحة مختفية تحت السجاد في الردهة، فنقبوا بها وعثروا على باب خشبي في الأرضية يقود إلى قبو أسفل المنزل، أسرع رجال الأمن بالهبوط محدثين جلبة صاخبة، وسمعوا صوت صراخ البنت يشق

عنان السماء وخلال ثواني وصل الجميع إلى درج طويل يقود إلى سرداب أسفل المنزل في نهايته غرفة اكتست جدرانها بالنقوش الفرعونية ويقف بها صاحب المنزل وهو لص آثار معروف كانت الشرطة تبحث عنه منذ زمن طويل، وبجانبه أحد العرافين، والفتاة مُمددة على منضدة مقيدة اليدين والقدمين. فصرخ سليمان: ابنتي. ابنتي يا مجرمين ثم حملها على كتفه وخرج مسرعا مع نبيل من المقبرة الكائنة تحت المنزل. اتجها نحو المشفى سريعا لإفاقة الفتاة، فأخبرهم الطبيب إنها مخدرة بمادة تستخدم للتخدير قبل العمليات الجراحية، وسيتم إفاقتها خلال ساعة.

جلس نبيل يهوِّن على سليمان وقال له: الحمد لله أننا عثرنا عليها في الوقت المناسب، لو تأخرت فقط للغد كان أصابها مكروه.

فقال سليمان وهو واضع يديه على عينيه: الحمد لله، لقد أصابني الرعب، لأول مرة في حياتي أرى هذا المشهد، ولم أكن أصدقه في المسلسلات سابقا، كيف ينعدم الضمير إلى هذه الدرجة ومن أجل حفنة دولارات يبيع الناس تراث وتاريخ أجدادهم، بل ويقتلون أطفالا لا ذنب لهم.

_ ساد الاعتقاد أنَّ العثور على المقابر الفرعونية التي امتلأت بالذهب والمجوهرات هو كنز أو دفينة وميراث تركه الأجداد للأحفاد، ومن حقهم امتلاكه والتصرف فيه كيفما يتراءى لهم، بل ويُخرجون خُمس المكاسب التي يحققونها ينفقونها للبلد كزكاة، وكحق للفقراء بذلك اعتقدوا أنهم طهروا أموالهم وساروا حسب الشرع.

_ كيف لا تتحرك ضمائرهم، وهم يقدمون الأطفال كقرابين للشيطان؟ مَن في الدنيا يتحمل صرخة طفل يُقتل لهذا الغرض الدنيء؟ والله أموال العالم بأسره لا تعوض لحظة مما عشناه الليلة. ولو لم تكن ابنتي لتألمت لأجلها بنفس الدرجة.

قطع حديثهما صوت الممرضة حيث أخبرتهم أن البنت قد تم إفاقتها.

هرعا إليها للاطمئنان عليها، فربت سليمان على رأسها وقال لها حمدا لله على سلامتك.

أخبرهم الطبيب أنها بخير، وسوف يتم الإذن لخرجوها غداً من المشفى.

في الصباح حاول سليمان ونبيل مغادرة المشفى مع فيروز، ولكن الشرطة طلبت أن تأخذ أقوالها عما حدث معها أولاً، قبل أن يسافروا من الأقصر.

فلم يمانعوا، وقصت عليهم كيف تم استدراجها عن طريق السائحة التي سألتها بعض الأسئلة باللغة الإنجليزية مدعية أنه لا أحد يفهمها في نطاق معبد الدير البحري، وأنها تحتاج إليها كي تصل إلى الفوج الذي أتت معه وتفقده، فسارت معها وهي تظن أنها تفعل خيرا وتقدم صورة مشرفة للسائحين، ثم قدمت السائحة لها عصيراً بارداً لم تشعر بعده بشيء.

عرضت عليها الشرطة بعض الصور لفتيات أجنبيات فأشارت إلى صورة السائحة وتعرفت عليها، فشكرها المحقق وانصرفوا عائدين إلى القاهرة.

ولسان حال سليمان يقول هذا ما وصلنا إليه في عصر الذرة.

عند وصول سليمان وفيروز إلى المنزل وجد زوجته في حالة يُرثى لها، فقد علمت كل ما حدث من خلال وسائل التواصل الاجتماعي مثل ميتا وx وغيرها، وحين رأت ابنتها بخير همت بعناقها ولسانها يلهج بالحمد لله، بينما شرد سليمان فيما وصل إليه الحال من عدم الأمان وتسرب أي حدث رغما عنك عبر المواقع الإلكترونية التي سهلت الجريمة كما استباحت خصوصية الناس.

****

19- حطمت قيودي

قُيدَت يديها بسلسلة من حديد غليظة، وكانت تقاوم بشراسة، فتحاول أن تحل وثاقها بكل السبل، ولم تفلح، ثم فجأة ظهرت أشعة الشمس من نافذة الحجرة الضيقة ذات الأثاث الرث، وكانت الأشعة تحمل بين طياتها أملا أضاء قلبها فهدأت. استيقظت نجاة من نومها وهي تقول: اللّهُمَّ اجعله خير.. كم رأيتُ هذا الحلم المزعج حتى ظننتُه حقيقة.

سمعتها والدتها التي كانت تجمع الثياب من شرفة حجرتها بعد أن جفت فقالت لها:

_يا فتاح يا عليم. ماذا تقولين؟

أما يكفي أنك تستيقظين متأخرة، ولا تساعديني!

_سأذهب للجامعة اليوم فأنا عندي محاضرات

_هيا لتعدى الإفطار لوالدك قبل أن يذهب إلى عمله

نهضت نجاة مسرعة من فراشها، وفى ثواني كانت قد توضأت ثم صلت الصبح وارتدت ملابسها وبعد دقائق كانت في المطبخ تعد الإفطار على الطاولة.

تناولت نصف رغيف وقطعة جبن، ثم هرعت إلى الباب لتَلحَق بالحافلة قبل ازدحامها لتتجه إلى الجامعة.

_ماذا بكِ يا نجاة؟ سألتها هدى.

_أبدا نفس الحُلم يعاودني، وأنا لا أدري لمَ.

_ما رأيك لو أخبرنا أستاذ علم النفس؟ فهو قد شرح لنا في احدى المحاضرات علاقة الأحلام المتكررة بالعقل الباطن، وبما يختزنه من ذكريات، وما يدور حوله من أحداث رُبما يريد إيصال رسالة لكِ عن المستقبل.

_لا. أرجوكِ يا هدى لا أريد لفت انتباه الدُفعَة كلها نحوي، فلندَع هذا الأمر للأيام ربما فسرته يوماً ما.

عادت نجاة إلى منزلها فوجدت والدها يخبرها بقدوم عريس مناسب إليها وممتاز وبأنه هو ووالدتها قد وافقا عليه.

فقالت لهما:

وأنا لا أريد الارتباط حاليا، فمازلت في الفرقة الثالثة في كلية الآداب وأمامي أكثر من سنة على التخرج.

فأخبرتها والدتها أنهما أدرى بمصلحتها، ولن تجد مَنَ هو أفضل منه، فهو صيدلي حديث التخرج، ويعمل في صيدلية والده. كما أنه ابن بن عم والدها ويعرفونه جيدا ولا يوجد به أي عيب.

وبعد جدال مرير، فشلت نجاة في إقناعهما بالعدول عن رأيهما، فقبلت الخطبة، وهي تنوى أن تشير الى أي عيب يبدو عليه فيما بعد فتفسخ الخطبة بعد ذلك.

ولكن الحقيقة هي لم تعثر على أي عيب ظاهرا فيه، فأكملت الخطبة، ثم تم الزواج في إجازة العام الدراسي الثالث رغما عنها. وعاشا معا شهورا وهما في منتهى السعادة، ثم اكتشفت أنها ستُرزق بطفل قريبا ففرِح كل مَن حولها أما هيَ فكانت خائفة تفكر كثيراً كيف ستُكمِل دراستها في الجامعة، وتعتنى بطفلها في آنٍ واحد. ولكن والدتها طمأنتها أنها سوف تساعدها وبعد أن رُزِقت بعُمَر كانت سعيدة به جدا تعطِف عليه وترعاه بكل ما تملك من اهتمام، كما فرح به زوجها كذلك، ولكنه شيئا فشيئا بدأ يغار عليها ويشعر بالضيق من اهتمامها بالوليد.

في احدى المرات التي تشاحنا فيها أخبرها إنه لم يعُد يراها ولا يشعر بإنه متزوج، وإنه بإمكانه أن يتزوج بأخرى.

وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير، شعرت بالظلم الذي ألحقته بنفسها يوم وافقت على رجلا لا تحبه ولبا يحبها وكأن كل مطحونة بين رعاية طفلها مضى بينهما كان سيناريو تم كتابته بعناية بواسطة أسرتيهما وهما مثلاه جيدا. فانفجرت باكيه وأخبرته إنها مطحونة حقا بين رعاية ابنهما وبين مذاكرتها وبين طلبات البيت، ولا تجد الوقت حتى لتشعر بالخشوع في صلاتها، فصمت زوجها قليلا وخرج من الغرفة. وظلت هي وحيدة تنتحب.

زارت والدتها لتترك لديها عُمر حتى تعود من الكلية، ولكنها تفاجأت بوالدها يسألها عن الفتاة التي تعمل في الصيدلية لدى زوجها، وهل رأتها من قبل؟

وكيف إنه من الواضح جدا أن مدحت لا يستغنى عنها. وكان تلميحا شديد الوضوح عما يجرى من خلف ظهرها. وماهي سوى أيام إلا وتفاجأت بزوجها يدخل عليها البيت، ومعه فتاة يخبرها بأنها زوجته الجديدة وإنهما سيقيمان معا في نفس الشقة.

كانت صدمة عنيفة اهتزت لها روحها. فظلت تبكي حتى الصباح حيث أخبرت والديها بما جرى، فأشارا عليها بعدم الخروج من الشقة لأنها حاضنة إلى أن يتفاهما مع زوجها. ولكنها أخبرتهم أن كرامتها لن تسمح لها بالاستمرار مع هذا الزوج الظالم. وأنها لا تريد منه شيئا سوى حُريتها.

وبعد ضغطهما عليها تحملت الوضع لأسبوع واحد فقط وبعده شعرت بالإعياء وفقدت الوعي.

مرضت نجاة مرضا شديدا، وإحتار الأطباء في تشخيص حالتها، والعلاج الذي لا يأتي بفائدة إلى أن حَلِمت بنفس الحلم المزعج الذي كان يطاردها قبل الزواج. فقررت أن تطلب الطلاق وتسترد حريتها. عارضتها أسرتها كثيرا وطلبوا منها البقاء لأجل ابنها الذي لا ذنب له لكنها تمسكت برأيها حتى نالت حريتها بعد عذاب طويل. كسبت نفسها أخيرا، وأرضتها وشُفِيت شيئاً فشيئا من مرضها وأدركت قيمة الحرية بعد تجربتها المريرة.

****

20- أحفاد ويليام

قرأت إيمي في صحيفة أخبار الولاية الصباحية، عن إمكانية عمل الخريطة الجينية، والتوصل إلى شجرة العائلة، فأخبرت فيكتور بالأمر والابتسامة تعلو شفتيها، وبرغبتها في معرفة صلات القرابة لها وله من ناحية الجدود بسائر مواطني المدينة، فقال فيكتور باهتمام:

_ وما فائدة ذلك؟

_فائدة عظيمة طبعا، ربما كنا من أقارب الرئيس مثلا، أو بطل قومي نسمع عنه، ناهيك عن احتمالات صلة القرابة مع نجوم السينما وغيرها.

_ وماذا يهمنا في ذلك؟

_ على الأقل سيتفاخر أبناءنا بين زملائهم.

_أعلم أنكِ لن تكفي عن هذا الحديث، ورغم عدم اقتناعي بمبرراتك، إلا أني سوف أنفذ رغبتك، وأذهب معكِ لإجراء التحليل.

بعد مرور أسبوع ظهرت نتيجة تحليل الجينات، والخريطة الوراثية لفيكتور وزوجته، وكانت النتيجة غريبة، حيث تبين أن الجد الخامس لفيكتور زنجي من أصول إفريقية، تضاحك فيكتور وإيمانويل زوجته وتندرا على الأمر، فبرغم بشرة فيكتور البيضاء وعيونه الزرقاء، إلا إن هذا لا يمنع وجود جذور أفريقية له، مما يعني اختلاط الأعراق في القدم.

ذهب فيكتور إلى المشفى التي يعمل بها كعادته، وقص ما حدث على أحد الأطباء من زملائه، فنظر إليه نظرة صامتة، وفي الحال كف فيكتور عن الابتسام وتعجب من رد فعل زميله.

بدأ في عملهِ وفحص المرضى كعادته، حيث كان فيكتور طبيب ماهر يسأل عليه المرضى خصيصا ويستطيع التشخيص المبكر دائما، كما كان بارعا في عمليات القلب المختلفة.

مر يومان، وبدأت أعداد الحالات التي يفحصها فيكتور يوميا تقل، ثم يوما بعد يوم تنقص أكثر، والوضع يتغير، دلف فيكتور حجرة الأطباء، وتبدو على ملامحه علامات الضيق، فرأى اثنان من زملائه يتهامسان أحدهما يذكر بصوت عالي كلمة (كونتا كنتي)، فنظر إليهما بتعجب، فكفا عن الحديث، والابتسام ورحلا من الحجرة.

بعد دقائق دلفت ميليسيا رئيسة الممرضات الحجرة، ثم سألها الطبيب فيكتور:

_ ما الذي حدث؟ عدد المرضى ممن أفحصهم قد قل؟

_ أعرف ما يفكرون به، لقد انطلقت إشاعة أنك من أصول أفريقية

_ وماذا في ذلك؟ أنتِ سمراء البشرة، ولم يؤثر ذلك على عملكِ

_ من قال لك ذلك؟ يعتبرونني مختلفة عنهم، فلا ترقيات ولا حوافز ولا مكافآت،

_ ولكنكِ لم تشكين من هذا الأمر من قبل!

_ تعودتُ على ذلك، فمهما ادعوا أنه لا اختلاف بيننا، يفرقون في المعاملة بيننا وبين البيض

_ لا أصدق أن ذلك يحدث في عصر الذرة، ورغم كل هذا التقدم، أتوجد عقليات عقيمة إلى هذه الدرجة؟

_ للأسف نعم. ولا تظن أنك ببشرتك البيضاء سيحميك هذا مما نلاقي، ما الذي دعاك إلى هذا التحليل؟ لقد كنتَ في غنى عنه.

انصرفت ميليسيا، وهي تترك آلاف الأسئلة في رأس فيكتور، الذي شغله الأمر أكثر، فبحث عن معلومات عن جده الخامس الذي يُدعى ويليام ليعرف عنه معلومات أكثر قد تفيده.

وعلم إنه كان مهندسا ممتازا، وبنى عددا من كباري المدينة، بل وخُلِّد اسمه بتمثال في مدخل احدى الحدائق العامة.

فانفرجت أساريره، وظن أن ذلك سيغير موقف الجميع منه.

دخل بيتر ابنه عليه في حجرته، وأخذ يشكو من معاملة المعلمين وزملائه، فاحمر وجه فيكتور من الغضب، وأخبره أن جده كان مهندسا مرموقا، فتدخلت ايمي في الحديث وقالت:

_ أنا آسفة جدا أن عرضتكما لكل هذه المشاكل

_ لا ذنب لكِ، فأنتِ كنتِ تظنين أن العنصرية قد انتهت كما كنتُ أظن أنا.

في اليوم التالي ذهب فيكتور إلى عمله، فوجد مدير المشفى قد استغنى عنه لعدم كفاءته.

صُعِق فيكتور من المفاجأة، ولجأ إلى القضاء مستعينا بمحامي شهير في مثل هذه القضايا التي تفضح العنصرية، رافضا الفصل التعسُفي، منددا بما حدث دون أي إثم ارتكبه فيكتور.

أكد له جونز المحامي سيدافع عنه، أن الإعلام لابد أن يتناول القضية ليكون داعما لها، ويثبت براءة فيكتور من أي تهمة إهمال في عمله قد يتم تلفيقها.

في المساء دق جرس الهاتف، وكان المتصل هو الطبيب هنري مدير المشفى التي فُصِل منها فيكتور، أخبره بضرورة الحضور فورا، فاستوضح فيكتور الأمر منه، فأخبره أن وزير الخارجية حالته صعبة جدا أصيب بجلطة في أحد شرايين القلب، وحالته حرجة ولن يستطع إنقاذه سوى فيكتور مع بعض معاونيه من أطباء القلب بالمشفى.

رد عليه فيكتور قائلا:

_ كيف أجري الجراحة، وأنا مفصول من المشفى بأمرٍ منك شخصيا؟

_ تعال بسرعة، وانقذ الرجل، ثم نعيدك إلى العمل. هيا الدقيقة تأخير قد تتسبب في وفاته

هرع فيكتور إلى المشفى في منتصف الليل، وكانت حجرة العمليات قد تم تجهيزها، فتم تعقيمه سريعا، وأجرى الجراحة شديدة الدقة، وتم إذابة الجلطة بنجاح، واستقرت حالة وزير الخارجية.

أمضى فيكتور ليلته في المشفى، وفي الصباح غادرها بعد تأكده من نجاح العملية. فعاود الطبيب هنري الاتصال به لكي يرجع إلى عمله، فأبى، وأخبره أن القضية في المحكمة، وسوف يعود بحُكم قضائي وبعد أن يحصل على التعويض اللائق.

دوىَّ خبر إنقاذ فيكتور لوزير الخارجية في الإعلام والجرائد، وبدأت الأقلام الشريفة تتحدث عن المساواة وتقبل الآخر وتعَرُض فيكتور للظلم، بسبب أحد أجداده، وفي موعد المحاكمة:

بدأ المحامي جونز حديثه بالكلام عن تكامل المجتمع، وتقبل الآخر وعن انتهاء العبودية والتفرقة منذ سنين طويلة، وأن الاختلاف لا يعني أن يدب الخلاف بين طوائف المجتمع، وطالب بتعويض كبير نظير ما تعرض له فيكتور من أضرار نفسية وأدبية وفقدان لعمله.

أكد القاضي على أن فيكتور له حق ولابد أن يحصل عليه، وتم الحكم على المشفى بدفع مبلغ مائة ألف دولار كتعويض رمزي لفيكتور وإعفاء الطبيب هنري من عمله كمدير للمشفى ورجوع فيكتور إلى عمله. فهتف الحاضرون في المحكمة نحن أمة واحدة. نحن أمة واحدة.

محتويات الكتاب

إهداء..... 4

1- جهاد..... 5

2- انتقام الأيام..... 12

3- حلمٌ زائف..... 16

4- شمسٌ لن تغيب..... 18

5- قساة القلوب..... 22

6- فتاة مفقودة..... 31

7- الثُقب الأسود..... 42

8- أحلام لا تنام..... 54

9- صبرٌ جميل..... 62

10- كانت واهمة..... 74

11- أكثر من حياة..... 76

12- بيتي ومن بعده الطوفان..... 86

13- يومٌ فاصل.....95

14- ضوء القمر.....99

15- الوهم الجميل.....106

16- بعد فوات الأوان.....111

17- ثمن الأمان.....116

18- رحلة إلى الحقيقة 122

19- حطمت قيودي.....131

20- أحفاد ويليام 135

محتويات الكتاب 140

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.